فصل في الكونغو

تأليف : إيميه سيزير
ترجمة وتقديم : فتحي العشري



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

روائع
المسرح العالمى

راجية حسين

الاخراج الفنى

ايميه سيزير
وفصل فى الكونغو

بقلم : فتحى العشرى

ان تقديم مسرحية « فصل فى الكونغو » لمؤلفها « ايميه سيزير » عمل صعب يواجهه الناقد والمخرج كلاهما .. لا لشيء الا لأن « سيزير » شاعر أكثر منه كاتبا مسرحيا ، ولأن مسرحه لا يحتوى على مواقف درامية خالصة ولا على شكل مسرحى محدد ، بقدر ما يحتوى على شحنة شاعرية غير عادية ومضمون سياسى مباشر وصريح !

وعلى هذا فان المخرج الذى ينشد النجاح فى اخراجه لهذه المسرحية لابد وان يستعين بديكور يتميز بالبساطة والثراء .. وموسيقى تجمع بين الأصل الافريقى والعصر الحديث .. وملابس شفافة ورقيقة تكشف عن البشرة السوداء وتساعد على الحركة والثورة .. واضاءة تستطيع أن تؤكد على الظلام بقدر ما تحيل خشبة المسرح الى نهار وضاء .. وعلى

المخرج أيضا أن يلجأ الى الموازنة الحية والواعية بين الايقاع السريع والايقاع البطء فى تمدد الحركة المسرحية وتطور الشخصيات على السواء .

ويبقى الأداء عنصرا من أهم عناصر نجاح هذا العمل الصعب .. فاذا اختار المخرج معظم ممثليه من الزنوج الافريقيين فانه يحقق بهذا نصف النجاح أو أكثر .. واذا لم يتمكن من ذلك فعليه أن يختار أقدر الممثلين وأكثرهم مرونة ..

وأما الكلمة الأخيرة فهى للجمهور الذى بتفاعله مع هذه التجربة الفنية — فى تناولها للواقعين التاريخى والسياسى — انما تنكشف له ارادة شعب يرغب فى الاستقلال والحرية داخل احدى المستعمرات الافريقية ، وارادة رجل غير عادى يصارع من أجل تحقيق هذه الرغبة على أرض الواقع وليس فى سماء الأحلام !

وهذا ما فعله المخرج الكوبى « روبرتو بلانكو » عندما قدم هذه المسرحية على خشبة المسرح الكوبى بالعاصمة هافانا فى يوليو ١٩٦٩ ، مستعينا بالموسيقى الشاب « ليو براور » وبالممثل « ميجيل بينافيد » فى دور « لومومبا » و « صمويل كلاكستون » فى دور « لاعب السانزا » كما استعان بعدد من « الباتتان » أو « الشكل الانسانى الذى تتحرك أعضاؤه بخيط رفيع ولكنه شىء آخر غير العرائس » ليحل محل مجموعة من الممثلين يصل عددها الى تسعين ممثلا .. وقد أقدم المخرج

على هـذا التصرف بناء على ضرورة عمليـة وفنيـة .. فكل الشخصيات ليست فى الواقع سوى صور وانفعالات داخلية .. بعض هذه الوجوه المرسومة تتخذ أشكالا هندسية تغرق اللونين الأحمر والأبيض ، وبعضها يختفى وراء أقنعة بيضـاء غير محددة المعالم لأنها شخوص وليست شخصـيات .. ولأنها تلعب فى النهاية دورا تشكيليا يخدم فكرة « الحلم » أو العرض الغارق فى الحلم .

لقد أراد المخرج أن يصهر نص « سيزير » وامكانيـات العرض الآليـة والبشرية فى بوتقة واحـدة وجديدة ، لا تلتزم بأشكال مسبقة وقديمة .. وهذا ما أتاح للجميع حرية فى الحركة تعبـيرا عن مفهوم موحـد وواحـد هو « المزج بين الحـلم والحقيقة » .

وقد استند المخرج فى هـذا التفسير الى عبـارة مركزة وصريحـة جاءت فى النص لتلخص الأحـداث التى وقعت فى الكونغو خلال عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .. تقول هذه العبـارة : « ان الأمر يتعلق بحلم ضرب حوله الحصار من الخارج » ..

فماذا حدث فى الكونغو ؟ وكيف تناول سيزير هـذه الأحداث فى عمله المسرحى « فصل فى الكونغو » ؟ !

نال الكونغو استقلاله من بلجيـكا فى يونيو (حزيران)

سنة ١٩٦٠ ، ولكن تشومبى قام بحركة انفصالية بأن قاد حزب « الكوناكات » المتمركز فى اليزابيث فيل للسيطرة على أقليم كاتانجا ، أكثر أقاليم الكونغو خصوبة وثراء .. وأعلن كالونجى انفصاله عن ليوبولدفيل وانفراده بأقليم كاساى .. وحاول حزب الأباكو السيطرة على أقليم باكوانجا .. أما قوات حزب « الحركة الكونغولية الوطنية » بزعامة لومومبا فقد كانت تتمركز فى ستانلى فيل ولكنها كانت تقود الكونغو كله الى ثورة تحريرية شاملة .. ورأس لومومبا أول حكومة وطنية بعد الاستقلال ولكنه واجه صراعات فى الداخل وتحديات من الخارج وخاصة بعد مؤتمر اكرا الذى انعقد سنة ١٩٥٩ واثار فيه لومومبا لأول مرة فكرة « الوحدة الافريقية »التى تضم الدول المجاورة للكونغو ولازالت تخضع للاستعمار مثل روديسيا وأنجولا وبرازافيل .. وهكذا تحركت قوى الاستعمار بمعاونة تشومبى، حاكم أقليم كاتانجا المنشق ، وكازافوبو ، رئيس الدولة الذى عزله مجلس الوزراء فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ وعين البرلمان لومومبا بدلا منه كأول رئيس لجمهورية الكونغو ، ودبرت المؤامرات التى انتهت بالتأثير على « موبوتو »قائد الجيش وصديق « لومومبا » لتسليمه الى ألد أعدائه « تشومبى » الذى أشرف على مصرعه فى ١٣ فبراير (شباط) ١٩٦١ وبعدها نصب « جيزنجا » نفسه حاكما على الكونغو ولم يكتف « تشومبى » بقتل « لومومبا » بل دبر اغتيال « همرشولد »

على حدود روديسيا الشمالية وهو فى طريقه الى الاجتماع به فى سبتمبر من العام نفسه لادراكه أن « همرشولد » لم يقف فى صفه •• وتتوالى الأحداث بسرعة فيعزل « تشومبى » ويلقى مصرعه ويستولى « موبوتو » على السلطة ••

وجوزيف ـ ديزيريه موبوتو هو رئيس الدولة الحالى الذى استطاع ان يعطى بلده السلام والأمان •• أما الكونغو « كينشاسا » فهى الآن ثانى دولة تتكلم الفرنسية بعد فرنسا رقد قبلت منذ ستة أعوام عضوا فى « نادى الدول العشر الأكثر ثراء واستقرارا فى العالم والوحيدة من بين دول العالم الثالث » فهى تحوى « خمس » احتياطى الهيدرو فى العالم وأكبر دولة مصدرة للزرنيخ وسادس دولة منتجة للنحاس ••

أما « لومومبا » الذى تخلى عنه الجميع واساء اليه أقرب أصدقائه ، فقد استطاع أن يظل بعد موته رمزا لحركة الكونغو واستقلاله ، بل أصبح « لومومبا » فى وقت ما هو « الكونغو » بل هو « افريقيا » ، كما كان « ديجول » هو « فرنسا » بل هو « أوروبا » وكما كان « عبد الناصر » هو « مصر » بل هو « الحركة العربية » ••

وأما المسرحية فقد التزمت بالتاريخ ولكنها لجأت الى التحليل النفسى والاطار التجريدى •• لاتقول رأيا ولا تستنتج

فكرا بقدر ما تصور بأمانة ووعى وحساسية « شريط الوقائع » .. وقائع الأحداث وواقع الشخصيات ، دون أن تطغى تلك « الواقعية » على « الأشعار » الرمزية والتعبيرية التى طعم بها « سيزير » نصه النثرى ..

يقول « سيزير » فى احدى قصائده :

افريقيا هى الأرض

التى يحلو فيها الموت

يقول هذا على الرغم من انه لم ير « افريقيا » على الاطلاق، فهو من أصل مارتينيكى حيث عاش أجداده بعد أن جلبوا من افريقيا .. وجزيرة المارتينيك هى أحدى جزر الأنتيل بالبحر الكاريبى وتقع بين الأمريكيتين حيث تضم ثمانى ملبون ونصف مليون من الجزريين السود .. وأهم هذه الجزر كوبا وجامايكا وهاييتى وبورتوريكو والمارتينيك (٣٠٠ ألف نسمة) .. وأهم منتجاتها السكر والبن والروم والزلازل الأرضية والبركانية التى كثيرا ما تقع فيها بلا انذار ولا رحمة .. والمارتينيك هى الجزيرة الوحيدة التى لم تحصل على استقلالها من فرنسا حتى الآن ..

يقول سيزير فى هذه القصيدة نفسها :

لقبى : مهان ..

اسمى : محتقــر ••

حالتى : ثائــر ••

عمْرى : عمر الحجــر ••

جنسيتى : الجنس البشرى ••

دياتتى : الاخــاء ••

ولكن لقبه هو سيزير •• واسمه هو ايميه •• ومولده جاء مع يونيو ١٩١٣ ، فى بيت صغير يتخاطف كسرات خبزه الأسود ستة أطفال هو سابعهم •• أما الأب فقد كان موظفــا بسيطا واما الأم فقد كانت سيدة بيت متواضعة • •

وتزوج سيزير •• من امرأة سوداء بعد أن أكمل دراسته بليسيه لويس الأكبر ، ثم عمل هو وزوجته بليسيه فور ، وأصدر مع عدد من زملائه مجلة « تروبيك » أو « انفعالات » وفيهــا أعلن اقتناعه بالسيريالية مذهبا فكريا يسعى الى الحرية المطلقة ، بحيث جاء اعتناقه لها افــادة منها وليست تبعية لها ، ووسيلة لهدف وليس غاية أو أيديولوجيــة ، ذلك أنه تنبه الى ظروف وطنه وأدرك على الفور دوره فى الدعوة الى تحرير هــذا الوطن السليب •• وانخرط فى العمل الســياسى حتى أصبح نائبا فى البرلمــان الفرنسى •• وهجــر الحــزب الشــيوعى الفــرنسى سنة ١٩٥٦ بعد أن وصل فيه الى أعلى المراكز ليتفرغ للكتابــة

شاعرا ومؤلفا مسرحيا ومفكرا من أجل حرية وطنه وحرية جنسه وحرية الانسان فى كل مصير ..

الفكرة الافريقية .. والحركة الزنجية !

لم يكن البؤس وحده هو الذى يشكل مأساة سيزير ، ذلك أن شعبه المارتينيكى كان قد اعتاد حياة المذلة دون رغبة فى الثورة أو أمل فى الخلاص .. نتيجة للخوف .. الخوف من غد بلا مأوى ولا طعام ، والخوف من مرض بلا رعاية ولا شفاء ، والخوف من سجن بلا محاكمة ولا افراج .

ولم يكن المرسوم الصادر سنة ١٨٤٨ غير لعبة سياسية لم تغير من الوضع شيئا .. صحيح أن العبيد قد أطلق سراحهم ولكن الى أين ؟ الى حيث لا حياة ولا مصدر للحياة .. حيث لا أرض ولا عمل ولا سيد قديم يصعب الحصول على غفرانه .. وتحول الانسان المارتينيكى بحكم هذا المرسوم من عبد الى بروليتارى .. حتى بروليتاريته أصبح محكوم عليها بالتعامل مع فرنسا وحدها على الرغم من أن الأرض نفسها جزيرة أمريكية ..

وهكذا أصبح ضياع الشعب وفقدانه لكبريائه وكرامته هو أصل الألم الذى يعذب سيزير ويفجر فيه طاقة هذا العذاب نضالا سياسيا وفكرا انسانيا ، بعد أن أمضى طفولة ليست

كالأخريات •• طفولة تعسة ولكنها جادة فى التفكير ، مخلصة فى التحصيل ، صادقة فى العطاء ••

وفى باريس التقى سيزير بسنجور •• ولخص لقاءه به فى هذه العبارة : « عندما تعرفت الى سنجور أحسست لأول مرة اننى افريقى » •• من هنا بدأ احساسه بافريقيا وبدأت النزعة الافريقية تسيطر جنبا الى جنب مع الأصل الزنجى على أحاسيس سيزير وفكره ونضاله ••

توحدت الفكرة الزنجية والفكرة الافريقية بعد أن تأكد للجميع أنهما لصيقتان •• فعار الماضى والخوف فى الحاضر واليأس من المستقبل كلها عوامل مشتركة بين الفكرتين ••

والى سيزير وسنجور انضم داماس وديوب وأخذ الأربعة يعملون على تضييق هوة الخلاف والكراهية التى اتسعت فى فرنسا بين زنوج أمريكا وزنوج افريقيا •• فأصدروا جريدة محدودة باسم « الطالب الأسود » توحد بين جميع السود على اختلاف جنسياتهم •• فيكفى الأسود انه ليس أبيضا حتى ينضم الى هذه الحركة التى تعد بحق « صحوة الضمير الأسود » والتى دعت فى صميمها الى الاشتراكية سلوكا واليسار مذهبا ••

يقول سيزير فى احدى قصائده :

جميل وخير وشرعى

ولعل ديوانه « كراســة العودة الى الوطن » هو الذى يلخص تجربته وثورته .. ان الديوان قصيدة غنائيــة وملحمية فى الوقت نفسه . تذكرنا بقصيدة رامبو الشهيرة « فصــل فى الجحيم » ففى الاثنتين يتردد ذلك الايقاع الذى يفرق بين كبار الشعراء وصغارهم . فرامبو وسيزير كلاهما لم يلجأ الى الشعر الا لأن عنده شيئا يريد أن يقوله بالشعر .. فاذا كان رامبو قد أطلق صرخته الانسانية من خــلال « فصل فى الجحيم » فان سيزير قد أطلق صرخته الزنجية من خلال « كراسة العودة الى الوطن » .. وكلاهما كتب أدبا ملتزما .. ملتزما بالانسانيــة وبقضايا العصر ..

أما ديوان سيزير فقد نشرت قصائده فى مجلة « الارادة » عام ١٩٣٩ ثم أعيد نشره مع مقدمة للشــاعر والمفكر الفرنسى « أندريه بريتون » عام ١٩٤٧ .. هــذا الديوان لم يلفت الانظار الى « الحركة الزنجية » فحسب بل كان أول صيحة فى طريق هذه الحركة التى دعمها شعراء من افريقيا وأمريكا اللاتينية . على رأسهم سنجور وديوب وداماس ، وهى الحركة التى نادت بالتحرر الوطنى والقومى ، بدءا من تحرير الأرض حتى تحرير الروح ، ايذانا بميلاد انسان أسود جديد ، كما نادت بأزدراء واحتكار كل من يقتدى بالثقافة الأوروبية دون أن يهتم بثقافته

القوميـة .. ومع هـذا لم تفرق « الحـركة » بين الانسـان والانسان أو بين الأسود والأبيض .. فالانسان لا يستطيع الا أن يكون فى النهايـة انسانا .. وعندما يتغنى الزنجى بزنجيتـه انما يتغنى بها فى حوار ديالكتيكى بين الأسود والأبيض أو بين الانسان والانسان .

وبعد ديوانه « كراسة العودة الى الوطن » حيث يتغنى سيزير بزنجيته اتجه الى المسرح ليجسد هـذا الغناء اللفظى فى ايقـاع حركى يتميز بالحيـاة . فكتب « الملك كريستوف » و « فصل فى الكونغو » و « العاصفة » وهى مسرحيات يحتدم الصراع فيها بين المستعمر والمستعمر ، بين السيد والعبد ، أو بين الأبيض والأسود .

وقد أراد سيزير بمسرحياته الثـلاث أن يستحدث نوعـا جديـدا فى عالم المسرح هو « المسرح الزنجى » ، كمـا أراد « جان ـ مارى سورو » مخرج هذه المسرحيات جميعا أن ينشىء فريقا جديدا يحمل اسم « المسرح الافريقى » ..

ولعل كلمة « سارتر » التى يقول فيها « ان الزنجيـة هى أورفيوس الذى يبحث عن أوريديس » لعل هـذه الكلمـة قد راقت لسيزير وفتحت أمامه طريق البحث عن وسيلة لاصـلاح حال أمته وخلق شخصـية جديدة لزنوج المـارتينيك بصفـة خاصـة .. لعلها تكون كلمـة سارتر ولعلهـا تكون أسطورة

أوزوريس أيضا .. أوزوريس الذى قطع الى أربعة عشر قطعة جمعتها ايزيس ووحدتها من جديد ..

وعلى الرغم من انتماء سيزير الى حركة الأدب الزنجى الجديد (النيو نجرو) الا أن أدبه يتميز بمذاق خاص جعل سارتر يخصه فى مقدمته لكتاب سنجور « أورفيوس الأسود » الذى ظهر سنة ١٩٤٧ ، بتقدير لم يحظ به الا سنجور وحده ..

فاذا كان سنجور وداماس وديوب وسيزير هم الذين قادوا معا الحركة الزنجية من ١٩٣٤ الى ١٩٤٠ فان صوت الأخير كان هو الصوت الأقوى والأبقى والأكثر تأثيرا وأثرا .. فقد تأثر به عدد من الشعراء الزنوج فى مقدمتهم بول ينجر ورونيه ديبتر وادوار جليسان وبولان جواشان ..

على أن هؤلاء جميعا بما فيهم الرواد الأربعة الأول لم يعرفوا « الزنجية » أفضل مما عرفها سارتر بطريقة هيجيلية حين قال انها « الانسان — فى عالم — أسود » .

ذلك أن القيم الحضارية المطلقة كانت وستظل هى العقل بالنسبة للروح ، والدين بالنسبة للايمان ، والطبيعة بالنسبة للفن ، والمادة بالنسبة للعمل ، والحياة بالنسبة للانسان .. الانسان الأسود الذى التقى بالحضارة الغربية منذ القرن الخامس عشر ، فأوحت اليه هذه الحضارة الغربية نفسها بفكرة

« الحركة الزنجيــة » بعد أن انتزع من افريقيــا ما يقرب من ١٥٠ مليون أسود خــلال أربعة قرون ، بينما لم تلغ العبودية الا منذ مائة عام فقط •• بعدها استطاع أن يرفع الانسان الأسود رأسه ، ولسوف يرفعها عاليا ، محتفظا بالعبقرية الزنجية التى قوامها ضمير القيم التاريخية وشعور الانسان الأسود بالعظمة ••

ويعود سارتر فيقول فى مقدمته لأورفيوس الأســود : ان الجنس لا دخل له بالرؤية الزنجيــة ، فالانسان الأســود لا يتكون من « روح » أو « جوهر » يختلفان عن روح وجوهر سائر الناس •• فهو يعيش وسط البيض ، يعمل ويفكر مثلهم ، يتكلم لغتهم ويضيف الى تراثهم أدبا وفنا ••

ثم يشرح معرفا الزنجية على انها « طريق محدد فى الحياة وســلوك خاص وسط عالم مختلف ومغاير •• وهى اختيــار مفروض ومرفوض فى الوقت نفسه •• ذلك أن « الزنجية » اذا كانت ميراثا فهى ليست حضــارة ، وعلى الزنوج أو السود أن يستبقوا هــذا الميراث وعليهم أيضا أن يحولوا هــذا التراث الى حضارة لها معناها وقيمتها وسط الحضارات الأخرى •• فالانسان الذى لا يملك أن يغير جلده فلا أقل من أن يمنحــه البريق والحيــاة ، سواء كان هــذا الجــلد أبيض أو أحمر أو أسود » ••

لأنها أقوال جماعيــة وليست فردية ، تتحدث بصــوت الجميع من أجل الجميع ، تتسم أقوال سيزير بالقوة ، فتتحول كلمات مثل « الصلابة » و « الحقد » و « الرغبة فى الانتقام » الى أفعال ، وأكثر من أفعال •• وهــذا ما أحس به سارتر فى أعماق سيزير • أحس بصلابته فى المطالبة بالحق والسعى نحو تحقيق الحرية •

فاذا رفضنا « مونتانى » الغارق فى مكتبته المكدســة ، و « ستندال » المستغرق فى وظيفته الدبلوماسية و « بروست » القابع فى غرفته المغلقة • واذا رفضــنا « هوجو » المستمرىء لمنفاه ببروكسل و « مالرو » المستعذب عزلته بمدريد •• فان « موريس باريس » ومن بعده « ايميه سيزير » همــا اللذان يتحولان الى اسطورة حية وخالدة •• الأول رســولا لفرنسا والأخير رسولا للمارتينيك •• قولا وفعلا ، ولكن الفعل ليس هو حمل الســلاح فحسب انه يتمثل أيضا وأكثر فى قيــادة الرجال والوصول بهم الى شاطىء الأمــان فى رحلة الحيــاة أو ساحة النصر فى معركة المصير •• أما القول فهو ذلك الذى يستمد قدرته من العقل والقلب معا •• كاتب ياسين مثلا وسيزير بالتحديد •• فاذا تكلم كاتب ياسين فلا يمكننا أن نستمع اليه بآذاننا ، ولكن بما فى داخلنا ، بكل ما فى داخلنا •• أما كلمات

سيزير فهى القادرة على الوصـــول الى القلب والعقل جميعا ••
فهو الذى نفث فى عالمنا بأنفاســه الساخنة التى أدفأت القلوب وأطلق كلماته المنعشة التى نبهت العقول :

أيتها الحرية ، يا طوق النجاة الوحيد يا مياه النهر المتجددة، أنت وحدك الراوية •

« فمن الاســتعمار الى مواكبــة الحضــارة ، المسافــة لا تنتهى •• » •

هكذا يقول الشاعر الأسود ، الذى يتمتع بشخصــية ذات صوت مسموع ، اســتطاع به أن يمهر العالم الأســود ، وبه اســتطاع أن يحطم أســطورة العبودية التى تمتهن الأســلاف وتزدرى الجنس الزنجى ••

من كثرة التفكير فى الكونغو
أصبحت أنــا كونغو
أنــا انسان الكهوف

الذى عرف العبودية وحملها على عاتقه وهو مدرك تماما أن قلب الانسان واحد لأن دمه واحد ونبضــه واحد فى عالمنــا هذا الواحد ••

وهكذا لم تتحول الزنجية الى حركة تصــدر عن كراهيــة أو تتعطش لمجرد الكبرياء ••

في ساعة المعجزات الحمراء

قابلت الحريـة ..

تلك الحرية التي تجعل من العالم ، دنيا بلا لون ، الكل فيها متشابهون .. ولكنها حركة تصـدر عن استفزاز واستنكار لتتخذ طريق الثورة .. ثورة ولو بالفكر وحده ..

أن يكتب الانسان ، في نظر سيزير ، هي الفرصـة وهي الانطلاقة التي يشبهها بانطلاقة النسر .. ولكنه يعود فيؤكد أن « الانسان لا يمضي وحـده ، فهو مربوط بالعـالم ، مرتبط به .. » .

نسوت وأذرعنا مفتوحة للشمس

قابضـة على شـعاعها

الساقط على صدورنا كعجلة الطاحون .

ويرى سيزير أن الحضـارات مهما تعددت ومهما اختلفت لابد وان تتلاقى ، لأنه لابد وأن يقوم بينها تعايش سـلمي .. ليس بمعنى أن يبيض الأسود ويسود الأبيض ، بل بقصـد أن يكمل كل منهما الآخر ليصلا معا الى الكمال ..

فالاستعمار يسعى الى سلب المستعمر حضـارته وكرامته ولكنـه دون أن يدري يوقظ فيه غرائـز القوة والكراهيـة والانتقـام !

ففى كل مرة تقطع رأس وتفقأ عين فى فيتنام ، وفى كل مرة تغتصب فتاة ويعدم طفل برىء فى فلسطين ، تتقهقر الحضارة الانسانية وتعود الى عصور الظلام والبربرية ..

ومع هذا فان الأمل قائم ، هو بالضرورة قائم ، لأن الانسان لايزال انسانا ، وسيظل كذلك !

ان مأساة افريقيا التاريخية هى انها تأخرت فى الاتصال بباقى أنحاء العالم .. ولكن سيزير يؤكد ان تسلق شجرة الحضارة لايكون بالضرورة بالعقل ولكنه أساسا بالقلب ..

أسلوب سيزير ولغته :

ربما كان أسلوب سيزير المعقد هو التعبير الصادق عن وضعه المعقد اجتماعيا وسياسيا ونفسيا ، زنجى افريقى ومثقف يحس بالهوة السحيقة بين حضارته المهجورة المخربة التى ينفض عنها أبناؤها وبين حضارة المستعمر التى يلجأ اليها هؤلاء الذين يقعون تحت وطأة الاستعمار دون محاولة للدفاع عن حضارتهم وحاضرهم ولو على على سبيل تقريب المستقبل واستدعائه من جوف التاريخ ..

ويتمثل أسلوب سيزير المعقد فى اختيار الألفاظ المهجورة كحضارته المركبة مثل وضعه .. وفى تكوين العبارات المشحونة كنفسيات مواطنيه ، المتوترة كسلوكهم .. وفى تعهد المعانى الغامضة كرؤاه الشاحبة مثل آمال وطنه فى الحياة والحرية وفى

اللحاق بركب الحضارة والتقدم ..

ومع هذا استطاع سيزير أن يعيد للشعر الفرنسى صفاءه . ويصبح واحدا من أكبر شعراء الفرنسية الذين ظهروا بعد الحرب الثانية ، بل واحدا من أكبر كتاب القارة السوداء ، برغم قوله « لست من نفس الشجرة أنا من حرارة أخرى وبرودة أخرى » ..

قال عنه بريتون « انه موهوب » ..

وقال ايلوار « هو رائع » ..

وقال سارتر « عبقرى » ..

وقال آلاف القراء « هو واحد من أنقى شعراء العصر » ..

والحقيقة أنه لا يقل شأنا عن بودلير ورامبو وفييون ومالارميه وايلوار أيضا . هو مثلهم جميعا ، انسان ملتصق عن صراع مرير خاضه أسلافه عبر التاريخ ..

زنجى .. زنجى .. زنجى ..
منذ وجدت السماء السحيقة قبل التاريخ !

وهكذا يتسلق سيزير باخلاص واقتدار جدران التجربة الانسانية غير مبال بما تسببه له من جراحات وعذابات ليتربع على عرش القارة السوداء شاعرا وكاتبا ومفكرا ..

وجاءت دواوينه الثلاثة التى تلت « كراسة العودة الى الوطن » وهى « الأسلحة المقدسة » و « شمس مكسورة » و « الكلاب كانت تصمت » تعبيرا عن هذا المفهوم وتأكيدا له ..

كانوا يعلموننا بالنار الحمراء

وكانوا يبيعوننا كالحيوانات

وكانوا يعدون أسناننا ..

***

سفاحون ، سفاحون ، سفاحون ..

وفى مقابل الشعور بالحيوانية ذكر سيزير فى أغلب أشعاره « الثعبان » على مختلف أنواعه : « الكوبرا ، الأناكوندا ، كرلوفر ، القيبير ، البازيليك ، بيثونس ، ليزار ، جيكو ، كروكوديل ، لوريل » ..

فالثعبان رمز جنسى بالدرجة الأولى وهو فى نفس الوقت أكثر الحيوانات خطورة فى المارتينيك ..

والى جانب الثعبان بأنواعه رمزا جنسيا يستهدف الرجل بما ينفثه ، لجأ سيزير الى الشجرة بأنواعها رمزا جنسيا يستهدف المرأة بما تخصبه .. كذلك لجأ الى الفاكهة رمزا للرغبة أو الوفرة أو الجمال .. أما أنواع الشجر فهى : السنبلة ، اللوز ، الشهد ، الذرة ..

وأما أنواع الفاكهة : فهى الجوافة والمانجو والقرفة ..

ولكى يرمز سيزير الى « هذه الجزيرة التى ترفض الميلاد » يلجأ الى رموز كثيرة أخرى مثل النجوم ، النوافذ ، المياه ، العصافير ، الزهور ..

ولعل كل هذه الرموز أو الايحاءات أو الاستقطاعات كان مصدرها السيريالية التى عرف سيزير كيف يدفع خلالها « بأعماقه » .

وننتقل الى موسيقى الشعر عند سيزير والى مكانها فى الموسيقى الافريقية !

من المعروف أن ايقاعات الموسيقى الزنجية — الافريقية فى أغلبها ايقاعات بطيئة وحزينة ، ذلك أن هدفها فى المقام الأول ليس « اطراب » الأذن بالنغم الساحر بقدر التركيز على الكلمات وابراز المعانى .. ومن هنا يجىء التعبير قبل التنغيم أو هو يحتل مكانة أرفع ..

فاذا انتقلنا الى اللغة ، لغة سيزير ، وجدنا أنه قد اكتشف لغة خاصة به ، بعيدا عن التراث الزنجى — الافريقى . بعكس التصاقه بموسيقى هذا التراث .. حتى أنه يمكننا أن نطلق عليها « اللغة السيزيرية » ونطلق على شعره بالتالى « الشعر السيزيرى » كما نقول « الشعر البودليرى » .

فاذا كان سيزير يبدو من أشعاره عنيفا وحادا بعكس سنجور الذى يبدو منسابا وهادئا ، فلأن الأول لايزال يعانى الغربة ولايزال وطنه يعانى القهر بعكس الأخير الذى نال حريته وحرية بلاده منذ ثلاثين عاما (عام ١٩٥٧) ..

ولكن سيزير لم يهدر ظهره للفولكلور « الأتيلى » أو لتاريخه .. وقد ظهر هذا واضحا فى مسرحيته الثانية « الملك كريستوف » التى كتبها عن ملك هايتى معاصر توسان لوفرتور ..

وتحضرنا هنا لوحة بيكاسو الشهيرة « جرنيكا » التى فصل فيها وجوه الشخصيات لأنه أراد أن يصور الهول والفزع، ذلك أن سيزير لم ينس هذا مطلقا سواء على مستوى الرمز كلما تعرض لوصف شخص أو موقف فى أشعاره كما فى مسرحياته ..

ويثور هذا السؤال : هل يعد سيزير شاعرا افريقيا ، أم هو شاعر فرنسى ؟ !

ان الكتاب والشعراء الزنوج الذين تخلوا عن جزء من ثقافتهم واعتنقوا الثقافة الفرنسية أو الانجليزية على حد تعبير ريتشارد رايت هم «out law» أو « خارجون على القانون » .. وهكذا يبقى الأدب الزنجى المكتوب بالفرنسية بعيدا عن

الحركة الثقافية فى الأدب الفرنسى وبعيدا فى الوقت نفسه عن « حركة زنجية » وليدة أو لم تولد بعد •• الا أن بعض الأعمال تعد « زنجيــة » خالصــة مثل « قصص جوان مالونجــا » و « روايات أمومسى تويتولا » و « أشعار ساونديانا » ••

يقول رونيه ماران أن كتابا افريقيين هم الذين سينشئون الحركة الزنجية فى وقت قريب ••

أما أن نسأل عن شعر سنجور ، هل هو افريقيا أم فرنسيا، فمعنى ذلك أننا نكرر السؤال : هــل شــعر سيزير افريقى أم فرنسى ؟ !

ومع هذا فان أشعار سيزير تعد فرنسية أكثر من أشــعار سنجور ، كما أنها تعد فى الوقت نفسه افريقية أكثر من أشعار سنجور كذلك •• فضــلا عن كونها أشعارا أنتيلية •• انه الشاعر ذو الأبعاد الثلاثة ، وهو الانسان الذى يجمع بين كل المتناقضات، وان كان قد وفق الى حل معقول لهذه المتناقضات ، وهو ما نسميه بالمعادلة الصعبة ، وهى أصعب المعادلات الفكرية والانسانية ••

وعلى هذا فان سيزير يعد بحق أمير الشــعراء الزنوج وواحد من أهم مؤسسى الأدب الزنجى الجديد ••

وعندما يهجر سيزير الشــعر الى النثر انما يلجأ الى التيار الانقى فى البلاغة الفرنســية وهو يوضــع أيضــا بين الناثرين

الفرنسيين عن جـدارة ، شأنه فى ذلك شأن سنجور وداماس ورومان وبيراجو وديوب ونيروليان ونيجر ..

ان هؤلاء جميعـا قد استطاعوا ، كل بطريقتـه أن يوقظ شعبه . وان يخرج الى الوجود الفكرى ما يمكن تسميته بأدب المعركة أو الأدب الثورى أو الأدب القومى وهو هنا « الأدب الافريقى ــ الزنجى » ..

والآن .. من هو جمهور سيزير ؟ !

على الرغم من تجـاهل النقد لسيزير وأعمـال سيزير ، فان انتاجه الشعرى والمسرحى والسياسى سرعان ما ينتشر فور صدوره ويحقق نسبة مرتفعة فى التوزيع داخل فرنسا ــ حيث ينشر سيزير أعماله ــ وخارجها فى الدول التى تتكلم الفرنسية ، وفى الدول الأخرى عن طريق الترجمة .. انه اذن جمهور القراء الذين يتحدث عنهم سيزير والذين يريدون معرفة حقيقيـة .. أما هؤلاء فكثيرون . كثيرون بعدد الأحرار والمؤمنين بالحرية . وأيضا بالعدالة وبالمساواة دون تفرقة ، عنصرية أو دينية أو حتى أيديولوجية .. انهم هؤلاء الذين يتجاهلون التقسيم الجغرافى للعالم ولا يرونه الا بساطا ممتدا يحتضن نوعا واحدا من الجنس العاقل أو الجنس البشرى .. انهم هؤلاء الذين لا ينتمون الى الماضى بقدر ما ينتمون الى المستقبل ..

فاذا رفض النهار أن يطلع .. واذا رفض الليل أن ينجلى..

اتنفت انسانيــة الانســان وأصبح كل ما يكتبه سيزير وكل ما يقوله ، لا قيمة له على الاطلاق .

اما اذا تمسك الانسان بانسانيته ، واذا استطاع أن يحافظ على العدل ويستمع الى صــوت الحكمة ، واذا لم يجد حرجا فى لونه الأســود ولم يجد ما يدعو الى التعالى نتيجــة للونه الأبيض ، واذا ظل الحوار القــائم على الاحترام مســتمرا بين الأسود والأبيض .. اذا حدث هذا كله فان كل ما يكتبه سيزير وكل ما يقوله لايمكن أن يفقد شيئا من قيمته وفعاليته ..

وما ينطبق على سيزير هنا وبهذه المقاييس ينطبق كذلك على كل كاتب صادق يتمتع بما يتمتع به سيزير من أصالة ..

ان أهم ما فى الانسان هو قدرته على الحوار .. وأعظم حوار هو ذلك الذى يدور بين « الأسود » و « الأبيض » حوارا داخليا وليس مسموعا أو سطحيا . هذا الحوار اذا تم على أكمل وجه فإنه يفتح طريقا جديدا ونبيلا نحو أمل واحد ومشترك بين جميع البشر بغض النظر عن اختلاف لون بشرتهم جميعا .

***

مسرحيـــة

فصل فى الكونغو

افريقيا فى نشــوة الاستقلال المكتسب ، ومرة واحــدة تتجمع كل المشاكل : ثورات ، خيانات ، صدمات حضــارية ، دسائس سياسية ، مناورات القيادات الكبرى .. كل هــذا يجرى بلا رابط فى طريقة اعادة بناء الدولة المغلق .

وتظهر من وقت الى آخر شخصــية كبيرة وعظيمــة هى شخصية باتريس لومومبا ، انه رجل ســياسى كان يعد الرجل الوحيد فى الكونغو والرجل العظيم فى افريقيا بأسرها ذلك انه يتمتع ببصيرة نافذة وشاعرية مطلقة .

رجل خيــال ، دائما ما يرى أبعد من الموقف الحــالى ، ومن هنا كان رجل عقيدة وهو أيضا رجل افريقيا ، لقد كان رجلا يؤمن بالقوة والحكمة معا .

فى صراعه مع مشاكل العالم الحديث ، عالم المنطق والمصالح، أكمل قدره ومصيره بجــلاء ووضوح رؤيا ، قدره ومصــيره كضحية وبطل . مهزوم ولكنه منتصر أيضا . يصطدم بأسوار سجنه ولكنه يقاوم فى الوقت نفسه .

من خلال هذا الرجل بل من خلال قوامه الأسطورى يدور تاريخ قارة بأكملها كما يدور تاريخ الانسانية جمعاء بطريقــة مثالية ورمزية .

ألا يكفى كل هذا لكى نحاول أن نبرز هذا الدور الرائع ؟!

ايميــه ســيزير

الفصـــل
الأول

المشـــهد الأول

« حى افريقى بالعاصمة ليوبولدفيل ..
حشد من المواطنين يلتف حول احد الحواة ،
يراقبهم اثنـــان من المخبرين البلجيـــكيين ،
بعيون ثاقبـــة » .

الحــــــاوى : اخترع البيض ، يا أبنائى ، كثيرا من الأشياء
جاءوا بكم الى هنا وفعلوا الخير وفعلوا الشر .
أما عن الشر فلن أطيل اليوم . لكن لاشك أن
البيرة خير ! أشربوا .. أليست هى الحريـــة
الوحيدة التى يبيحونها لنا قبل أى شىء ؟ هل
يمكننا آن نجتمع دون أن ينتهى هذا الاجتماع
الى السجن ؟ نجتمع نسجن .. نكتب نسجن..
نغادر البلاد ؟ نسجن .. وهلم جرى ؟ لكن
لكن لاحظوا بأنفسكم .. منذ ربع ســاعة

وأنـا أخطب فيكم ومع هذا يتركنى رجـال الشرطة أفعـل .. أما السبب ، فلأنى أبيـع البيرة ، ولأنى أصب البيرة .. من المؤكد ان كأس البيرة هى رمز حقنا الكونغولى وحرياتنا الكونغولية .

لكن حاذروا ، نعم ، فكما يوجد فى البلد الواحد أجناس متعددة ، كما هو الحـال فى بلجيكا نفسها ، حيث يعيش الفلاموند والفايون وحيث يعلم أى فرد انه لا يوجد أسـوأ من الفلاموندبين ، يوجد أيضا بيرة وبيرة أخرى .. أجناس من البيرة .. عائـلات من البيرة .. وقد جئت الى هنا لاتحدث عن أفضل أنواع البيرة ، أفضـل أنواع البيرة فى العـالم .. البولار .. هى التى تعيش فى الظروف الجوية القاصية .. البولار بيرة الحرية الكونغولية .. البولار بيرة الصداقة والأخوة الكونغولية .

متفـــرج : هيـه .. ولكنى سـمعت ان البولار توهن المـرء .. وان البولار تضـعف من قـواه الجنسية .. أجب على هذا يا سيدى .

الحــــاوى : لاحظ ، أيها المواطن ، أنى لا أرد على هجومك

بهجوم مماثل .. كما أنى لا أطلب منك ان تأتى لى بزوجتك أو أختك (ضحكات تدوى فى الاجتماع) .

متفـــــرج : هوه .. هوه .. هوه هذا الرجل عنيف ..

الحـــــاوى : لكنى التفت ناحية الفتيات هناك ، تلك النباتات اليافعة وألقى عليهن بسوء .. الى .. هيا أيتها الفتيات .. يا دعاباتى صاحبات البسمة النديـة يا فتيـاتى ذوات بطن الحيـة اللدن .. ألن تجبن ؟

(الفتيات تغنى)
نساء كالمرايا ملساء
أجساد بلا ريـاء
غارقة فى العسل
شـعر متموج
نهـدان بارزان
فوق الصدر البرىء بلا حياء

(تصفيق الجمهور)

المخبر الباجيكى الأول : لا بأس بتهريجه .. لكنه ثرثار .

المخبـر (٢) : هيه .. لكنه مصـدر قلق .. فكأس البيرة

التى يصبها عبارة عن صندوق ملىء بالدهاء ••
ماذا يخرج منه •• سأحصل منه على كلمتين فى
هذا الشأن •

المخبــر (١) : عامله بعنف •• لابد من بيع البولار •• هل
تعرف من يملك البولار ؟

المخبــر (٢) : كيف نريد لى أن أعرف ؟ أعرف فقط أن هذا
الزنجى خطير •

المخبــر (١) : أنت صغير ، أقولها لك••فوراء البولار يختفى
الوزير •• أى نعم •• وزير الكونغو •• هل
هذا يكدرك •• لكن الأمر كذلك •• فهمت
اذن •• هيا بنا نأخذ كأسا •

المخبــر (٢) : أرغب فى ذلك تماما •• اعطنى بالمناسبة اسم
الحــاج •• فشىء ما يقول لى أننا سنحتــاج
اليــه •

المخبــر (١) : أوه •• انه ســاحر •• اطمئن •• ســاحر
اسمه •• باتريس لومومبا •

***

المشـــهد الثـــانى

(صـــوت يرتفع خلف المسرح ، ثم يعلو تدريجيا . فى نفس الوقت الذى يروح فيه ويجىء جرسونات المقهى وزبائنه .. يقام بار افريقى) .

الصـــــوت : اسمعوا .. اسمعوا .. اسمعوا .. جـرح الجاموس .. لم يعد يقوى لأنه أصيب بطلقات نارية .. ولهذا هاج الجـاموس .. من هو الجاموس ؟ الجاموس هو حكومة البلجيكيين والفلامنديين . وحيث أن الجاموس جريح فهو كثير التهديد . أما أنتم فهل تتراجعون بسبب هذا التهديد ؟ الجاموس حيوان شرس . هل تهابون شراسته ؟ وخطواته الثقيلة ؟

اليكم أغنية اسلافنـا :

الجاموس خطوات ثقيلة

خطوات ثقيلة ، خطوات ثقيلة

ان رأيتموه ، لاتخافوا من تلك الخطوات الثقيلة

تلك الخطوات الثقيلة ، تلك الخطوات الثقيلة

(أقيم البار ، أضـواء باهرة ، موائـد صغيرة ، دخول وخروج بعض الزبائن ونساء الليـل)

المـرأة (١) : (وهى تغنى)

تعالوا لمـاذا تخافون ؟
أنـا لست متزوجـة
تزوجت منذ زمن بعيد
كنت أظن انه لا يوجد رجال آخرون
آه •• فقط لو كنت أعلم

(تقترب من مائدة)

حقا •• لا توجد شهامة فى الكونغو •• رجال يشربون البيرة وحدهم ويتركون آنسة واقفة ، جف حلقهـا •

رجـل (١) : (يصفر) ويا لها من آنسة لاشىء يقـال •• بالنسـبة لامرأة ، فهى امرأة تشـير كسـت شـمعات •• لنفسـح لها مكانا ، اجلسى ، يا سيدتى الصغيرة اجلسى •

المـرأة (٢) : (وهـى تقتـرب) أوه •• أوه •• أيتهـا

الصـــديقات .. ساعدونى .. ساعدونى ..
وقعت لى حادثة صغيرة .. انزلقت سترتى .
مساند سيماس الصغيرة هذه ليست مريحة .
هؤلاء الفلانجيون المقدســون يخدعوننا بكل
الوسائل .

رجـــل (٢) : يخدعوننا ويستغلوننا ، نعم يا أمى الصغيرة .
يستغلوننا . الزنجى ، كما تعلمون ، ليس حذرا
بما فيه الكفاية .

المـــرأة (١) : (وهى تتجرد من ملابسها)
أما أنـــا .. فوجدت حلا للمشكلة .. خلعت
الثوب . لم أعد أرتدى الا الجيبولا .

رجـــل (٣) : (وهو يضحك) بهدوء .. بهدوء .. قـــولى
بالاحرى أنك تتجردين حتى من الجيبولا ؟ ..
بفضل هذه الموضة نرى افخاذ النساء أثنـــاء
ســـيرهن .. بل أكثر من ذلك .. هيـــه ..
هيه .. أقول أكثر بكثير .

المـــرأة (٢) : يالك من جاحد .. لـــماذا تشـــكو والمتعـــة
مجانا .. آه .. الرجـــال أصبحوا بخلاء ..
شديدى البخل .. غاية فى السوء .
(تغنى)

اسمعوا يا أصـــدقائى

أعطانا الله أمهـات
آمهات تقتلنا من أجل المـال
للحصول على قسط أكبر من المـال

(يدخل رجل يرتدى زيا أوربيا ، يسير كرجال البحرية انه موكوتو)

موكوتـو : سـلام على الفتيات .. عندى لكم أخبـارا جديـدة .. ألقى الفلامنديـون القبض على باتريس ، ولا أمل فى أن يلينوا .. رحـلوه الى ايفيـل ، مقيد اليدين ، بينمـا يجتمـع السياسيون فى بروكسل حول مائدة مستديرة لتقرير مصـير الكونغو . لو كان فى جمعيـة السياسيين الافريقيين لمـا اجتمعوا طالمـا لم يفرج عن باتريس .

رجـل : نعم .. وجهـة نظر .. ان كنـا لا نعمـل من أجل مصير رجل .. لكنا نعمل من أجل مصير أمة .

موكوتـو : أوه .. أوه .. هـل كان سـيوجد هنـا فلامنديون ؟ فلامنديون سود .. يوجد بالفعل فلامنديون حمر ، لمـاذا لا يوجد سود ؟ هيه ؟ صديقى ألم تتساءل أبدا ما الذى يمكن أن يحدث اذا ارتبط مصير رجل بمصـير أمة ؟

هيه ؟

رجل (٢) : حسن .. حسن .. لكن ما العمل ؟ لا يمكننا رغم كل شيء ان نقتحم وبأيدينا العزلاء سجن اليزابيث فيل .

موكوتو : وهل أعرف أنا ؟ يا الهي .. افعلوا أي شيء . ولكن افعلوا .. كل الطرق ممهدة . كل الطرق .. تؤدى الى الثورة . فاتخذوا اذن أي الطرق .. لكن اتخذوا طريقا ..

(يرتفع الصوت مرة أخرى خلف المسرح .. ويغنى نشيد اللمبانجيست)

انا الأبناء اليتامى

ليل حالك ، شاق هو الطريق

الهنا القادر . أين نجد العون ؟

أبانا الكونغو ، من ذا الذى يعيننا !

المرأة (١) : اقترح أن نرتدى ملابس الحداد لمدة ستة شهور ، فنحن نلبس الحداد عندما نفقد أحدا منا ، وباتريس كان الى حد ما واحدا منا .

موكوتو : يا له من كذب .. تعتقدين ان هذا الأمر يهم الفلامنديون .

المرأة (٢) : أنا ، اقترح أن نقوم باضراب ، ونطوف رافعين أعلامنا ، كل جمعياتنا ، لولينا ، دولار ،

المرأة الحرة ، والأمل رافعة أعلامهـا الصفراء والخضراء والحمراء ، سـوف يكون لهـذا تأثيرا .

ماما ماكوزى : (أو المرأة القوية) كفاكم بلاهة .. لا حزن ولا اضراب . العمل ، هو العمل سنعمل أكثر مما عملنا من قبل . سندفع كفالة للبلجيكيين . الجاموس يحب المـال ، هـذا شيء معروف ، انه غذاءه ، وسيجتمع باتريس مع الآخرين فى بروكسل . انتهيت من كلامى .

موكوتـــو : أبنائى ، يجب أن أرحل . افعلوا ما تمليـه عليكم قلوبكم . خير كل ما ستفعلوه لباتريس. شـكرا .

(رجل يقوم . يغنى . الحشد يردد غناءه)

سيحل فصـل الأمطـار
ستأتى الحرب الينـا
زمن الدمـاء الحمراء
هو الزمن الذى اتحدث عنه
قوى هو الجاموس ، قوى هو الفيل
لكن أين الفرار ؟

لا الباب ولا الطريق

تنبـأ بعلمـه

قريبا يسقط الجـاموس ، وقريبا يسقط الفيل

سيشعرون بيد الله الرهيبـة

الزمن الذى اتحدث عنه هو زمن الدماء الحمراء

للغد هى الحريـة .

***

المشـــهد الثـــالث

« سجن اليزابيث فيل »

السجان (١) : (يتحدث فى التليفون) آلو ؟ انى منصت •• نعم سيادة المدير •• تماما يا سيادة المدير •• حسب أوامرك يا سيادة المدير •

السجان (٢) : ما الموضوع أيها الرئيس ؟ خطير ؟

السجان (١) : المدير أخبرنا بحضـــوره الآن ، بخصـــوص السيد باتريس لومومبا •

السجان (٢) : أوه •• هذا الرجل •• لا يجلب لنا ســـوى المشـــاكل •• رأيت العديـــد من المسجونين ، لكن بشرف السجان ، لم أرى اناسا متعبون أكثر من هؤلاء الزنوج ذوى النظارات •

السجان (١) : والادعـــاءات •• انظـــر أنه حتى الآن يكتب الشعر •• شاعر خسيس •• لكن احضره هنا حتى نذكره بالنظام ونهيأه للحديث مع سيادة المدير •

(بينما يذهب السجان الثانى لاحضـــار السجين •• السجان الأول يقرأ)

السجان (١) : أوه .. أوه ..

الكونغو ، ثم جاء الرجل الأبيض
مغتصبين نساءك
لكن المسقبل السعيد يحمل الخلاص
شواطيء النهر الكبير هى ملكك الآن
ملكك هذه الأرض وكل خيراتها
ملكك تلك الشمس فى علاها

من أين سيملكها الشمس ؟ انهم لا يكتفون بالحصول على بيوتنا ونسائنا ، بل يريدون أيضا الحصول على الشمس .. آه .. ها أنت أيها القذر الحقير ، الجاحد ، آه السيد يقرض الشعر .. لكن من الذى علمك القراءة .. أيها الخسيس ، سوى هؤلاء البلجيكيين الذين تكرههم الى هذا الحد .. قف .. امسك ، سأكتب الشعر على ضلوعك .

السجان (٢) : أيها الزميل .. ليس هذا كل شيء .. أنظر الى ما فوجئت به داخل زنزانته .. مخطوطة .. مقال يحتج فيه بالطبع على حبسه غير الشرعى كلهم يقولون هذا كما تعلم .. ويطالب

بالأفراج عنه ليتمكن من الاشتراك فى أعمال مؤتمر المائدة المستديرة فى بروكسل . امضاء باتريس لومومبا ، رئيس الحركة الوطنية الكونجولية .

السجان (١) : لا بأس .. هيه ؟ (يضربه) أتتصور نفسك فى بروكسل أيها الوحش ؟ وما الذى ستقوله للملك اذا رأيته ؟ ما الذى ستقوله للسيد كيتوكو ؟

السجان (٢) : (وهو يضربه) يريد بالطبع أن يصبح وزيرا .. (يضحك) أتتصور نفسك سيدا .. أيها الخسيس .. سيدا .

السجان (١) : من الجائز لكن يجب عليه أولا أن يأكل الملك كالا .. لا تضربه كثيرا يا بنى .. فلندع الأمر للرئيس الذى قد يحضر حالا .. ها هو قد وصل .

المدير : أحمل اليك نبأ سارا .. يا سيد لومومبا .. نبأ عظيما .. نعم فأحيانا ما يحدث أن يحمل مديرو السجون أنباء سارة .. أنباء عظيمة الى مساجينهم فقد وصلنى منذ برهة أمر من

بروكسل بخصوصك • قرر السيد حاكم الكونجو اطلاق سراحك •• ويأمل بصفتك رئيسا الحركة الوطنية الكونجولية كما تطلقون عليها ، يأمل أن تشترك فى أعمال مؤتمر المائدة المستديرة •• وقد كلفت باتخاذ الاجراءات اللازمة لتيسير سفرك •• وأخبرك بان طائرة شركة سابينا المتجهة الى بروكسل ستقلع غدا • أنت الآن حر يا سيد لومومبا رحلة موفقة يا اكسلنس ••

السجانان : أوه •• أوه (ينحنيان) رحلة موفقة يا اكسلنس

(يمر لاعب سانزا وهو يغنى)

اخوانى •• يا اخوانى •• تيقظوا •• الكونجو يتحرك •

***

المشـــهد الـــرابع

(منشور يسقط من الكواليس مكتوب عليـه « بروكسل قاعة المـائدة المستديرة » غرفـة ملاصقة لقاعـة القصر .. الذى ينعقـد فيـه مؤتمر المـائدة المستديرة للأحزاب الافريقية .. أربعـة أو خمسـة رجـال متنكرين فى شـكل ساخر ، على هيئة صرافى البنوك يدخلون ويخرجون .. زى أنيق .. سـيجار كبير .. السخط والرعب على أشـدهما .. تسربت أنباء تفيد بأن الحـكومة البلجيكية وافقت بنـاء على طلب لومومبا على تحديد يوم ٣٠ يونيو ١٩٦٠ موعـدا لاستقلال الكونغو) .

الصراف (١) : لقـد انتهى كل شيء صمم الخونة على بيع امبراطوريتنا .

الصراف (٢) : حددوا للاستقلال موعدا .

الصراف (٣) : للأسف .. قبلوا دكتاتورية هذا الخسيس .

الصراف (٤) : الشجاعة يا سادة .. الشجاعة .

على المـرء ان يتزوج عصـره .. لا أقـول يحبـه .. يـكفى أن يتزوج منه .. هـذا الاستقلال يضللنى .

الصراف (١) : الشيء الذى يؤدى الى الكارثة الكبرى
ويقضى على الدولة ، ويبدد أموالنا
ويحط من قدر هــذا البلد حتى
يصل الى أحط الدرجات
هو أن تتخذ موقفا بعد فترة طويلة

الصراف (٢) : تناقض محير أم حكمة خطيرة
الاثنان ولاشك .. زميلى انى أقولها
لا أعرف ما الذى يجيش فى أعماقك
ولكن عندما ينتشر الشر فى مملكة شاســعة
يصبح من الخير الا ننادى بالحرية .

الصراف (٤) عندما ينتشر الشر فى مملكة شاســعة ، تصبح
الحلول الجريئة هى وحدها العاقلة .

الصراف (١) : ليس هناك شيء أكثر اثارة من هذا الغموض .
ولكى نتخطى الصعــاب ، قولوا تــكلموا .
اقترحوا ، اذا كان لديكم خطــة .. بدلا من
الاحتيال .

الصراف (٢) : ما علينا .. هل لديكم ما يسمى بالسياسة ؟

الصراف (٤) : سياسة ؟ الكلمة ضخمة . لكن لنحكم العقل
من هنا وهناك تقفز الى مخيلتى بعض الأفكار ،

وهـذا لا يستحق شـيئا عشرون عامـا من
العـذاب • فكروا • فلكي تروض الوحش ،
لا توجد الا وسيلتان •• الهراوة يا عزيزى ،
والخازوق •

الصراف (١) : وبعـد ؟

الصراف (٤) : لاشيء •• كنت أعتقـد انكم أكثر وعيـا •
اتبعوا الفكرة •• ماذا يريدون ؟ • مراكز •
ألقاب • رئاسات • نواب • شيوخ • وزراء ••
أخيرا الخـازوق •• حسـنا •• سـيارات ••
حسابات جارية • قصور • مرتبات كبيرة •
لن أبخل أبدا •• بديهيا وهذا هو المهم : أن
نشبعهم •• النتيجة••أن نلين قلوبهم ، ويصفو
مزاجهم ، أرأيتم الى أين يقودنا المنطق حتى
نحكم تدبير المؤامرة •

الصراف (١) : كفى •• أحسنت أيهـا الزميل •• الموافقـة
بدون تحفظ ؟

كورس الصرافين : هيه •• هيه •• يحيا الاستقلال •

***

المشـــهد الخـــامس

(ليوبولدفيل ، احتفـالات شـعبية ، تسـمع اناشيد الاستقلال)

امـــــرأة : كيف يصـل الاسـتقلال فى سـيارة •• فى باخرة ، فى طائرة ؟

رجـــــل : يصل بصحبة الملك الأبيض الصغير •• السيد كيتوكو ، هو الذى سيحضره لنا •

مواطن من المنظمة الوطنية الكونغولية :
الاسـتقلال •• لن يحضره لنا أحـد •• نحن الذين نحصل عليه • أيها المواطنون •

موكونجـو : لا يهم •• منحناه أو انتزعناه •• ما أعرفه •• هـو أننـا الآن نملك الاسـتقلال وعلى كل البنجاليين أن يعودوا الى قراهم •• لقد أفسد هؤلاء البنجاليون البلد •

مونجـالى : نحن وحدنا الذين نملك السـماح لواحد من الموكونجو ، أن يكون رئيسـا للجمهورية •• وأن يحكمنا •• هـذا المكان يعود لرجل من

النهر ، يحيا جان بوليكانجو •• الى السلطة
يا جان بوليكانجو •

مواطن المنظمة : هيا •• هدوءا من روعكم أيها السادة •• كفانا منازعات عنصرية •• لا تسمحوا للاستعمار بأن يفرق نيسود •• فلنحكم فى هذه المنازعات الطاحنة • فلا يكون بيننا بنجاليين ، أو باكونجيين ، أو بانيتلاس ، لكن كونغوليين فقط • أحرارا متحدين • منظمين •• هيا •• فلنحتفل بوحدتنا ببيرة طيبة • اننى أدعوكم للشراب أيها السادة •

متعصب : أما أنا فلا احتسى الا البريموس ••

السكير الباكو : البريموس هى ملكة البيرة •• انها بيرة الملك كالا ••

السكير الثانى : البولار •• هى المنعشة تحت الظروف الجوية القاسية ••

مواطن المنظمة : اشرب نخب السلام •• كل أنواع السلام سلام القلوب •

سلام الأحزاب .. سلام البيرة ، اشربوا أيها السادة ، بولار أو بريموس . فى صحة الكونجو .

الجميع : يحيا الكونجو (يرددون أناشيد الاستقلال).

***

بازيليو (ملك البلجيك)

هذا الشعب الهمجى .. الذى هزمته من قبل قبضة بولامتارى القوية ، قد تولينا أمره .. آى نعم .. العناية الالهيــة فوضتنا لهــذا . فأطعمنــاه وعلمنــاه ورعيناه . فــاذا كانت مجهوداتنــا قــد اســتطاعت أن تتغلب على طبيعته ، واذا كانت جهودنا قد جنت ثمارها . فسوف نخبره بهذا الاستقلال الذى أمنحه له اليــوم ، فليجرب اذن حريتــه . فاما أعطى لافريقيا المثل الذى نعطيه نحن أنفسنا لأوروبا ، شعب متحد ، أصيل كادح ، سوف يرتفع شأنه فى العالم برفع وصايتــه عن رعاياه . وأما أن تنشط الجذور الهمجية التى نمت فى أعمــاق البدائية ، المتأصلة وتعاود نشاطهــا السقيم ، خانقة بذلك المحصول الجيد الذى بذروه على مدى خمسين عاما ، بفضل تفانى رسلنا .

الجنرال ماسان : (جنرال بلجيكى) وماذا بعد ؟

بازيليــــو : سوف تعلم فى الوقت المناســب يا ماسان ،

لنثق أولا فى الطبيعة البشرية ألا ترغب فى ذلك ؟

الجنرال ماسان : تعلم يا مولاى ، اننى لست متحمسا على الاطلاق لهذه التجارب .. وان كانت تحمل مع ذلك علامة الاقدام والكرم .. وهى الصفات التى تميز عبقرية جلالتك .. لكن بما أنك ترغب فى ذلك ، فلا أقل من تلك الحرية التى دخنوا من أجلها الطباق الردىء ، الذى أسكرتهم رائحته ورؤاه المحزنة حتى يشعروا بأنهم منحوا الحرية ولم ينتزعوها . ولا أظن يا مولاى أنهم أغبياء لدرجة انهم لا يشعرون بالفارق بين حق معترف به ومنحة من سخائك الملكى .

بازيليو : اطمئن يا ماسان .. سوف أبين لهم ذلك بشكل واضح .. لكن ها هم .

كالاوجو (رئيس جمهورية الكونغو) متوجها نحو نومومبا :

سيدى الحاكم .. عفوا .. أريد أن أقول « سيدى رئيس الوزراء » ان سبب اهتمامى ، هو أن الأمور تسير على ما يرام ، أريد أن أقول تسير بطريقة أفضل . ان المبادىء

الاخلاقية ستجعل من هـذه الأمور واجبا ،
وكذلك المبادىء السياسية • سيكون الوقت
غير مناسب للشكوى والعتاب والكلمات النابية
الجارحـة •• ان الطفولة تنمو مع الألم ••
هذا هو القانون •• لكن عندما يولد طفل ••
نبتسم له • أريد اليوم كونغو تملأه البسمة ••
لكن ها هو الملك (متوجها نحو الحشـد)
هيا ، فى صوت واحد ، يحيا الملك •

الحشـــد : يحيا الملك •• يحيا الملك •• يحيا •• يحيـا
الملك كالا •

(يلوح الحشد بأعلام صغيرة تحمل علامة
كودى ، رمزا لاباكو ، جمجمة يخترقها سيف •
صوت انفجـار بارود • جمع من الأطفـال
السود تحت قيادة أحد المبشرين ذوى لحيـة
كبيرة ، يرددون لحنا قريبـا من لحن المبشرين
حاملى الصلبان الخشبية) •

بازيليـــو : (مخاطبا المسئولين) سـوف أتحدث اليكم
حديثا موجزا • ينبعث بالترحم الى أسـلافنا
الذين كانوا أولياء على هـذا البلد • أولا الى
ليوبولد المؤسس ، الذى جاء الى هنا لا لأخذ

أو يسود ، وانمـا ليعطى وينشر الحضـارة
وحتى تعلم عرفاننا بجميل كل الذين بنوا هذا
البلد وشيدوه بالألم يوما بعد يوم • المجـد
للمؤسسين ، المجد للمشيدين • أيها السادة
حتى نعيد بناء هذه الأمة •• فنحن شـعب من
المهندسين ، والصناع • اننى أقولها لكم بدون
فخر : اننا نعيد اليكم اليوم آلة فى حالة جيدة
اعلموا على الأقـل انكم تستطيعون دائمـا
واضح ، طالمـا أن الأمريتعلق بالتكتيك فسوف
يكون من المخاطرة عدم ادراك العيوب الفنية ،
اعملوا على الأقـل انكم تستطيعون دائمـا
الاعتماد علينـا ، وان مساعدتنا لكم ستستمر
مساعدة منزهة عن الغرض أيها السادة • والآن
أيها الكونغوليون تولوا أموركم فان أنظـار
العالم تتجه اليكم ••

كالالوبـــو : سيدى •• ان تشريف جلالتكم •• لاحتفالات
هذا اليوم المشهود ، يعطى دليلا قويا وجديدا
على رعايتكم لتلك الجماهير التىأحببتموها••
ورعيتموها لقد تلقوا خطبتكم الأخويـة بكل
الاحترام وبكل الحرارة التى يحيطونكم بها ••

وسوف تحتفظ الجماهير طويلا فى قلوبها بالكلمات التى وجهتموها اليها فى تلك الساعة الحاسمة . سوف يقدرون ثمن الصداقة التى تهبها لهم بلجيكا ، سوف يسيرون بحماس فى طريق التعاون الصادق . أما بالنسبة لكم اخوانى الكونغوليين ، أريد أن تعلموا وأن تدركوا أن الاستقلال انما هو صديق للقبائل .. لم يأت لينال القانون .. ولا العادات .. ولكنه جاء ليكملهما ويتممهما .. ويوفق بينهما الاستقلال ، صديق الوطن ، لم يأت أيضا ليعمل على تقويض الحضارة . الاستقلال جاء ممسكا بين يديه ، من ناحية بالعادات وبالحضارة من ناحية أخرى .. الاستقلال جاء ليوفق بين القديم والحديث بين الوطن والقبائل فلنبق مخلصين للحضارة ، فلنبق مخلصين للعادات وسوف يحفظ الرب الكونجو .

لومومبا : أما أنا .. سيدى .. فأفكر فى المنسيين ، نحن الذين ضربنا ، وشوهنا ، وأهنا وبصق على وجوهنا . طباخون ، شغالون ، عمال كما تقولون غسالون ، شعب من العمال ، من

يشك أن الانسان من الممكن الا يكون انسانا ، ولا يملك الا ان ينظر اليه . كل الآلام التى استطاع أن يتحملها الانسان يا سيدى تحملناها ، كل الاهانات التى استطاع أن يذوقها الانسان ذقناها . طعم الحياة ، أيها السادة ، لم يستطيعوا أن يصبوا مرا فى أفواهنا ولقد كافحنا بوسائلنا البدائية . كافحنا خمسين عاما . وها نحن قد انتصرنا . بلادنا هى الآن بين أيدى أبنائها . هذه السماء ، هذا النهر ، هذه الأراضى ، ملكنا . البحيرة ، والغابة ملكنا . كاريزمين ، تيارا نجوجو ، ناموراجيرا ، ميكينو ملكنا .. ايه . ان الجبال تتصاعد اليها النار والكلمات . أيها الكونغوليون ، اليوم هو يوم عظيم ، اليوم الذى يضم فيه العالم الى أممه الكونغو أمنا ، أو الكونغو ابننا . وليد أرقنا ، وآلامنا ، أصدقاء الكفاح .. وأخوة النضال ، فليتحول كل جرح من جروحنا الى ثدى ولتصبح كل فكرة من أفكارنا ، وكل أمل من آمالنا غصنا يجدد الهواء .

من أجل الكونغو •• انتبهوا •• انى أرفعه فوق رأسى وأحمله على كتفى •

انفخ على وجهه ثلاث مرات • أضعه على الأرض واسألكم •• هل تعرفون حقيقة هذا الطفل ؟

وتجيبون جميعاً

انه الكونجو ملكنا

أريد أن أكون طائرا ، طائرا جميلا ، يحلق فى السماء ، يعلن للأجناس بكل اللغات •• ان الكونغو ولد لنا ملك لنا •• ليحيا الكونغو •• الكونغو المولود مؤخرا فليحيط بالجميع • أيها الأصدقاء ، كل شىء يجب أن يصنع ، كل شىء يجب أن يعاد صنعه ، سوف نراجع القوانين بعضها تلو الآخر من أجل الكونغو •• سوف نعاود النظر ونحن نقتلع الظلم فى كل أجزاء الصرح القديم من أسفله الى أعلاه •• الواحد تلو الآخر من أجل الكونغو ••

وكل ما أعوج سوف يستقيم ، وكل ما نكس سوف يرفع •

من أجل الكونغو .. اطالب باتحاد الجميع ..
اطالب بتضحية الجميع من أجل الكونغو ..

(فترة من الذهول)

يا كونغوا يا أيها الزمن العظيم ..
ونحن بعد أن أحرقنا ثياب العام القديم
علينا أن نبدأ خطواتنا الراسخة المتفائلة
فى العهد الجديد .. فى بزوغ الشمس .

(يدخل أربعة صرافين)

الصراف (١) : هذا مرعب ، هذا مرعب ، ستكون النهايـة سيئة ..

الصراف (٢) : هذا الحديث .. هذه المرة ان حدث ، يمكننا أن نرحل ..

الصراف (٣) : (متعجرفا) هذا واضح ، حين ينعدم النظام ، على الصراف أن يرحل ..

الصراف (٤) : نعم .. على الكونغو .. هذه المرة أن يسير بدون مرشد ..

(يمر موكوتو مهموما ، ولا يرى احدا)

موكوتـــو : كنت قد راهنت عليه ، على من اسـتطاع أن يحسن صياغة هذا الحديث ؟ ليقال انى أردت

أن أصنع منه رجل دولة .. اذا كان يريد أن يكسر عنقه فتباله ، يا للخسارة ، يا لها من خسارة .. ان السكين الحادة تمزق حتى غمدها (يبصق) محترف المقابلات .. هل صحيح كما يقال فى قريتى أن الثروة جمل ، يملكه الشخص الذى يترقب اللحظة التى يبرك فيها الحيوان تعبا لكى يمتطيه ..

(يخرج ممتطيا جوادا خياليا)

(وهنا لاعب السانزا يردد أغنية لوبيتو الشعبية)

يمسك الرياح
فليس هناك آمن منهم
وليست لهم ملامح القتلة
ولكن أنوفهم تستنشق كل رائحة تحملها الرياح
انهم شباب لوبيتو
انهم رجال مشوهون
يأكلون كل شىء
انهم رجال لوبيتو

اللويبتو هى النقــود
ليسوا طيبون ولا أشرار
انهم رجــال لويبتــو
(يظهر الصراف الخامس)

الصراف (١) : تهنئتى يا ســيدى •• انه عمــل جيــد فى الحقيقة •

الصراف (٥) : أيها الزميل لا أعتقد أنى أستحق قسوتكم •• ما من سياسة الا وتحمل قدرا من المخاطر •• من الجنون يا سيدى أن تفشل خطتك •

الصراف (٢) : أنظروا كيف يستخرج العبارات والتصميمات•• من الجراءة يا سيدى أن تحبط خطتك •

الصراف (٥) : عبــارات •• كلا •• انما افتراضات أيهــا الزمــلاء •• عند أقــل وخزة •• كهبوط من الفراش • لن يطيلوا عليكم •• تنبهوا واتبعوا الفكرة •

(يهمس فى أذنهم)

سوف تعترفون أيها السادة أنه منطق سليم •• اذا كان ليو يتمسك بتقرير المصير • ليكن •• لا نستطيع أن نمنعه •• ولكن ليكون ذلك للجميع ولمناجمنا قبل كل شىء •

الصراف (١) : شوت •• شوت •• دعونى أسمع ما يقوله الزميل ، منطقى فى الغالب ••

الصراف (٤) : أيها الزملاء عندما أتأمل محيط الفوضى الذى تهوى البلاد فيه يلوح لى أن الحل الأخير يبقى حقا •• أمام هـذا الكونجو المتعثر المترامى فى الأطراف • هناك فكرة تفرض نفسها •• فمن غير اللائق الا نستطيع أن نخرج كاتنجا طواعية من هذا التلاحم الضخم •

الصراف (١) : آه لقـد فهمت ما ترمون اليـه •• ولهـذا أعانقكم • يحيا اليورانيوم حرا •• هـذا أمر طيب أليس كذلك ؟

الصراف (٥) : ليس اليورانيوم فحسب •• المـاس كذلك •• النحاس •• والكوبالت •• وأخيرا كاتانجا •• كاتانجا المنعشرة الزائعة الصيت ••

جوقة الصرافين : هوراه •• هوراه •• تحيا كاتانجا ••

***

المشـهد السـابع

(علبة من علب الليل .. ملهى الايليت ومن خلال اسطوانتين لفرانكوميا أمور .. يسمع صوت احدى المذيعات الهامس) .

المذيعـــــة : هنا اعادة التسليح الاخلاقى الافريقى .. الى العمل .. أيها المواطنون الى العمل .. أقول الى العمل .. كما سأقول الى الســلاح .. ذلك أن حربا قد بدأت أيها الكونغوليون .. الحرب من أجل هذا البلد ، لذلك فان تعبئة الفئــات العاملة يجب أن تكون كامــلة غير مشروطة بوحى من الضمير وبارادة قوية .. ان الأيام التى عاشها الكونغو لشبيهة بعصر ما قبل التأريخ لكنا بالاســتقلال قد دخلنــا التاريخ .. والتاريخ أيها المواطنون هو العمل، الى العمل .. الى العمل أيها المواطنون .

(فى تلك الأثنــاء صوت آخر يرتفع انه صــوت المطــالبين)

المطـــالبون : تنبهوا .. تنبهوا .. أيهــا الكونغوليون ..

صـموا آذانكم عن أصـوات المخبولين ..
أخرجوا من خنادقـكم .. من متـاجركم ..
ومصانعكم..لتطالبوا وتستردوا الاستقلال ..
لا ينبغى أن يكون كلمة جوفـاء .. صدقونى
الكلمة ليست جوفاء لكل الناس .. اسألوا
نوابكم ووزرائـكم .. السـيارات للوزراء
والنـواب ، النسـاء للنـواب والوزراء ..
أما بابا نويل فهو للسود ذوى المونوكل ..
لكن بابا نويل للجميع .. هذا هو الاستقلال
الكونغو كما نفهمه نحن .. يحيا الاستقلال
الكونغولى .

(يمتـلىء المسرح بالجنـود الكونغوليين
نصف السـكارى ، أحزمتهم فى أيديهم وهم
يصيحون .. يسقط السياسـيون لومومبـا
لاشىء .. لومومبا بامبا) .

***

المشـــهد الثـــامن

(تتغير الأضــواء .. نحن فى كالينا .. فى مكتب رئيس الوزراء)

لوموبــــا : استدعوا ماكيا .. كانجولو متغيب .. رئيس مجــلس وســيم .. من العبث أن نبحث عن سيسوكو .. انه نائم ولا يستيقظ قبل أن يحل الظلام .. وهل تعتقدون أن هــذا الوضــع سيستمر هكذا .. اللعنة اللعنة .. من نحن ، أيهــا السادة ؟ ســوف أقولها لكم .. اننــا مساجين .. أنــا سجين ، سجين بارادتى .. أنتم يجب أن تكونوا مساجين محكوم عليكم بعمل لا نهايــة له . ليس لكم الحــق فى أى راحة .. أنتم تحت تصرف الكونجو أربعــا وعشرين ساعة كل أربع وعشرين ســاعة .. الحياة الخاصة لاشىء .. لاتوجد حياة خاصة . فى مقــابل ذلك لن يكون لكم أى اهتمــام مادى .. فلن يكون لديكم الوقت . أعلم ، أعلم .. يبدو أننى مبــالغ .. ومغــامر ..

وجسور •• وماذا ؟ نعم هو هذا •• يبدو أني أريد أن أصل بسرعة •• حسنا •• جماعة لولبية •• نعم •• يجب أن نتقدم بسرعة •• يجب أن نتقدم بسرعة فائقة •• هل تعلمون كم عندي من الوقت لكي أتسلق خمسين عاما من التاريخ ؟ ثلاثة شهور أيها السادة •• وتعتقدون أن لدي الوقت حتى لا أتقدم بسرعة .

مبولـــو : أيها الرئيس •• الجنود •• الجنود انهم قادمون ••

لومومبـــا : الجنود •• ماذا يفعلون ؟ الجنود ؟ يصيحون ؟ بماذا يصيحون ؟

مبولـــو : انهم يتحاملون عليك شخصيا أيها الرئيس ويصيحون الى الموت يا لومومبا لومولبا بامبا.

لومومبـــا : (غاضبا) أما من شيء آخر ؟ قذرة •• أنذال •• فلامنديون •• كلهم فلامنديون •• فلامنديون لقطاء •• عندما أفكر أنهم زحفوا طوال خمسين عاما أمام بلجيكا •• وفي الوقت الذي نسترح فيه بعد •• أراهم ينهشون كعوبنا .

أحد الوزراء : شيء مبهج .. بداية طيبة للاستقلال .

لومومبـــا : يا له من غباء .. وكيف كنت تتخيلها ؟ وكيف ترى أستمرارها ؟ وكيف تعتقد آن هذا سيمر ؟ عندما عينتكم وزراء هل أحسستم بأننى أدعوكم الى حفــل ترفيهى ؟ على كل حــال ، أنــا لا أعتبركم خونة .. سوف نحصــل على كل شيء .. وفى وقت واحــد ؟ وعلى الفور .. الثورة .. التخرب .. التهديد الوشــاية .. التشهير .. الخيانة .. تندهشون لذلك .. تلك هى الســلطة الخيانة .. ربما الموت .. الموت بلاشك .. وهذا هو الكونغو .. افهموا الكونغو بلد يجرى فيه كل شيء بسرعــة .. اليوم بذرة فى الأرض .. غدا تصبح شجرة .. ماذا أقول .. غابة بأكملها .. ان الأشياء التى تجرى بسرعة سوف تسلك طريقهــا على كل حال .. لا تعتمدوا على فى الحد من سرعتها .. مبولو .. دع هــؤلاء الصاخبين يدخلون .. سوف أتحدث اليهم .. وسوف أجعل قلوبهم ترتد الى أعماق صدورهم .

(يدخل مندوبو الجنود)

أدخلوا أيها السادة •• آه كم أنــا آسف على
أن المدنيين لم يصطحبوكم هؤلاء الســادة من
الابيك والاوتراكو الذين يضعون ، اليوم ••
السكين على أعناقنا •• كنت سأسألهم •• اذا
كان من اللياقة الاحتفاظ طوال خمســين عاما
بالفم مغلقا ومرتجفا •• أمام البلجيك •• دون
الموافقة على حكومة كونغولية •• حكومة من
الكونغوليين •• حكومة من الأخوة تجيء فقط
لفترة لاتزيد عن شهور معدودة من أجل دراسة
الملفات وبحث المسائل المعلقة •• أما بالنســبة
لكم أيها الجنود •• فلن أتحدث بطرق ملتوية :
مطالبكم شرعية •• أفهمها وأريد أن أجعلهــا
قانونية •كنتم قوة شعبية تحت أمرة البلجيك••
جيش وطني •• تطــالبون أن يتولى قيادتكم
وطنيون •• أى شيء أفضل من ذلك •• اننا
لا نستطيع أن نتردد لحظة واحدة أمام هــذا
القدر من الاصلاح الافريقى •• الا أن ارادتنا
الطيبة قد أخفقت بسبب أحكام الجنرال ماسان،
وهواياه ، السيئة • خذوا العبرة أيها السادة ،
انظروا كيف أن الاســتعمار خائن ، عنيد ،
مخادع ، ولكننا أزحنا ماسان •

المجمـــوع : يسقط ماسان .. يسقط ماسان ..

لومومبـــا : لقد عزل ماسان وستحقق الحكومة مطالبكم .
الحكومة توافق اذن على ترقية كل واحد منكم
رتبـة أعلى .. الجندى من الدرجـة الأولى
يصبح رقيبا ، والرقيب مساعدا .

الجنـــود : كلا .. كلا .. كولونيلات .. جنرالات .

موكوتـــو : سيدى رئيس الوزراء ، ما يطلبه الجمع هو
أفرقة كاملة وسريعـة للكادرات ، وحيث أن
الأمور تسير الى هذا الحد ، فلا توجد دقيقـة
واحدة نضيعها .

لومومبـــا : الموقف لم يفلت من الحكومة .. وبناء على
ذلك يمكننى من الآن فصاعدا أن أخبركم بأن
الحكومة تأمل ، كلا تقرر .. كلا ، بل قررت
أن تعين من اليوم جنرالا كونغوليا وكولونيلا
كونغوليـا . أما الجنـرال فهو لونـدولا
وأما الكولونيل فهو سكرتير مجلس الشباب
مبولو ، الموجود هنا الآن .

المجمـــوع : لا .. لا .. مبولا لا .. انه ليس جنديا ..
انه سياسى .

بعض الجنود : انه موكونو الذى نريده •• يسقط مبولو •• يحيا موكوتو •• موكوتو قضى سبع سنوات فى الجيش الشعبى •• انه جندى حقا •

لومومبا : تختارون موكوتو •• لكن •• أوافق على رغبتكم •• فى الحقيقة موكوتو جندى •• وهو صديقى •• وأخى •• أعلم أن موكوتو لن يغدر بى أبدا • مبولو كان قد عين من قبل الحكومة •• حسنا سأعين أنا موكوتو •• لنكف عن الكلام •• لقد تم تسوية المسألة •• الموضوع لم يعد معرفة اذا كنتم ستصبحون ضباطا أم لا •• طالما أنكم كذلك •• الموضوع هو معرفة أى نوع من الضباط تختارونه • ضباط شرف ؟ أم ضباط ترف ؟ أم ضباط من الطبقة الجديدة ؟ ما تريده الحكومة هو أن تكونوا ضباط الشعب الكونغولى ، حيويتكم مستمدة من روح الشعب الكونغولى •• وعزيمتكم من أجل حماية الاستقلال الكونغولى ؟ أتريدون هذا ؟

بعض الجنود : نعم •• نعم •• يحيا لومومبا •

لومومبا : جنود وضباط الكونغو •• اذا جاء العدو ••

وقد لا يكون من المستبعد أن يحدث هـذا بأسرع مما تتوقع •• يجب أن يصـاب بخيبة أمل •• مثل الصقر عندما يحاول أن يستولى علم اللحم التى يعدهـا القروى للشى فتحترق •خائبـه •

يحيـا الجيش الوطنى الكونغولى •• يحيـا الكونغـو •

(صيحات الجنود)

(وهنا يغنى لاعب السانزا)

رمـاد النـار

نشوان موسـم الحصاد

عصفور صغير يروح ويجىء

عصفور صغير نساء

من الصغر حتى الكبر

يا له من عقل عصفور •• يقول الفخ ؟

العصفور قد نسى الفخ

والفخ لايزال يذكر العصفور •

***

(فى الظلام ، لاجئون من البيض يعبرون المسرح، يحملون قدر طاقتهم هؤلاء هم سكان المستعمرات مع بيلوكو . وفجـأة تسلط الأضواء الحمراء على خريطة كبيرة للكونغو . فـوق الشرفـة وخـلال الظـل نلمح خيالين) .

المذيـع (١) : ميوزوتيس تنادى جاردينيا ميوزوتيس تنادى جاردينيا .. آلو آلو .. ردى يا جاردينيا .

المذيـع (٢) : آنجيل .. بيتى تنادى آنجيل .. نخبركم أن اثنى عشر سيارة محملة بالنســاء والأطفــال تتحرك نحو قاعــدة كيتونا .. نرجو المجىء لمقابلتهم .

المذيـع (٣) : ميوزوتيس تنــادى جاردينيــا .. آلــو جاردينيــا .. نخبركم بأنباء لولو أبورج .. اقــليم كاســاى التى تلقيناهــا حــالا .. ١٢٠٠ أوربى حجزوا فى مبنى أيموكاساى .. محاصرين بقوات كونغولية مسلحةبرشاشات.. وهاونات .. نرجو ارسال قوات النجدة .. ضرورى جدا .. انتهى .

المذيع (٤) : فينكس .. آلو فينكس .. نخبركم من جهة جوبا .. قوات وانسا .. ثورة شاملة .. أربعون ضابط بلجيكى سجنوا مع عائلاتهم يعانون القسوة .. من الضرورى سرعة التدخل .. انتهى .

(يدخل بازيليو وماسان فى زى قائد بلجيكى)

ماسان : وبعد يا صاحب الجلالة .. التجربة قضى عليها .. لقد سلبونا الكونغوا .

بازيليو : للأسف ..

ماسان : انهم مشاكسون .. يجب اعادتهم الى رشدهم .. ولا أرى الا وسيلة واحدة .

بازيليو : أعرف يا ماسان .. أعرف .. وسيلة لا يسمح لنا القانون الدولى .. مع الأسف .. بأن نلجأ اليها .

ماسان : مولاى ان الوقت لم يعد يسمح بمعوقات شرعية .. ان حماية الحياة الأوربية .. الحياة الانسانية .. هو أمر حتمى يتجاوز كل الأمور الأخرى ..

بازيليـــــو : حقا يا ماسان •• كل الأمور الأخرى •• هيـــا
بنا •• انى أمنحك حق التصرف •

ماســـــــان : (بصوت جهورى) أيها الجنود الى الأمـــام
(منظر الجنود الكوماندوز البلجيك

وهـــم يتحــركون • ظـــلام)

صوت لومومبا : (يطـــلق صيحـــة الحرب الكونغولية) أيهـــا
الكونغوليون •• لوما •• لوما ••

(صوت طبول الحرب تدق طوال الليل تتناقل
نبأ الهجوم البلجيكى)

***

المشـــهد العـــاشر

(عندما تضاء الأنوار .. نكون فى طائرة فوق اليزابيث فيل .. رياح .. أمطار برق) .

لومومبـــا : يا له من جو أنظروا .. أنظروا .. الريح تقتلع الأشجار .. يا لها من أمطار الجو أسوأ من وضع الكونغو .. وهذا أقل ما يقال .. كأنها أشباح قطيع من الفيلة تتسارع حول غابة من البامبو .. انه موسم الأمطار الذى يبدأ مبكرا .. أليس كذلك .

كـــالا : من المؤكد أن الجو ليس جميلا .. لكن عندما نقع فى حيرة يقول جهلنا انه الضباب .

لومومبـــا : أيها الطيار .. ماذا تنتظر لتهبط .. هلا تنتهى هذه الرحلة .. أين نحن ؟

الطيـــار : وصلنا فوق اليزابيث فيل .. لكن يا سيدى الفاضل ، ها نحن قد دخلنا قلب اعصار استوائى .. وها هو المذياع يفسر لى الأمر .

(يقدم له ضباط اللاسلكى ورقة)

الطيـــــار : (يقرأ) هيـا اذن •• مزيـرى وتشـومبى بشخصيهما فى برج المراقبة •• سلطات كاتنجا ترفض هبوط الطائرة •

لومومبـــا : مزيرى ؟ تشومبى ؟ سلطات كاتنجا ؟ نحن •• نعم أم لا •• حـكام الكونغو ؟ وكاتنجـا ، أليست هى جزء من الكونغو نعم أم لا ؟ أيها الطيار أهبط ؟ أهبط •• أقول لك ؟ مهمـا يحدث •

الطيـــــار : مستحيل •• سـيدى الوزير الجو غايـة فى السوء •• وقد أطفأوا علامات الممر •• أنـا مضطر الى الارتفاع مرة أخرى ••

لومومبـــا : يا لك من شقى •• خائن •• فلامندى •• أنك متحالف مع انفصالى الكونغو ترفض ••

(بينما تعود الطائرة الى الارتفاع)

الطيـــــار : سيدى الرئيس الى أى اتجاه ؟

كـــــالا : ليوبولد فيل

لومومبـــا : كلا •• السـلاح •• السـلاح •• الى موسكو •• الى موسكو ••

(ظـلام)

***

المشهد الحادى عشر

(عندما يعود الضوء .. تكون فى البرلمان الكونغولى بليوبولد فيل . حيث يتخذ الأعضاء أماكنهم .. يمر لاعب السانزا يغنى)

ساقى الملافو يصعد الى قمة شجرة :

انزل أيها العصفور الصغير

أهبطى أيتها النحلة

أن الأرواح الطيبة تغنى عند أقدام الشجرة

يا ساقى الملافو أنت تصعد وتصعد

يا طائر الحرية النشوان

العضو (١) : زملائى الاعزاء والمبجلين .. لقد تحولت الكونغو الى مقبرة فسيحة يتدفق البلجيكيون مثل جيوش الرومان .

العضو (٢) : أوجه نظر الحكومة لمسألة الأموال .. نعم الأموال .. الكنز الكونغولى كان قد اختفى .. تبخر مع ريح الشمال .. من أين نستخرج المال الآن ؟ لقد نقل بنك الكونغو

الى كاتنجا . هل سننام بينما روما تحترق ؟ انه السؤال الذى أوجهه للحكومة . من ناحيتى لن أتردد فى أن أعلن رغبتى وهى أن أموت فى مقر المجلس .

العضو (٣) : لسنا هنا بالتأكيد لكى نوبخ بعضنا البعض ، أيها الزملاء ، بينما هناك بعض المسائل التى لايمكن أن ندعها تمر فى صمت .. ان رئيس وزراؤنا ورئيس جمهوريتنا لم يعد بيننا .. يجب أن تكون لدينا الشجاعة أمامهما عندما نعتقد أنهما فى ليو .. يكونا فى ماتادى .. وعندما نقول أنهما فى ماتادى .. يكونا فى بنان .. وفى بنان يقولون أنهما فى مواندا وبوما . أنهما يحلقان يمينا ويسارا .. هنا وهناك ودائما معا .. فكروا فى هذا أيها السادة .. فى بلد متحضر .. عندما يخرج الزوج .. يجب على الزوجة أن تبقى فى المنزل. وأطلب من المجلس أن يضع تصريحى موضع الاعتبار .

لومومبا : أما أنا أيها السادة .. فأؤكد لكم .. أننا لا نتجول بما فيه الكفاية .. آه .. من ناحيتى

كنت أتمنى أن أتضاعف .. أن أنقسم .. أن أصير أنـا نفسى عـددا لا يحصى .. حتى أتواجـد فى كل مكان فى نفس الوقت .. فى ماتادى .. وبوما واليزابيثفيل ولولوابورج.. حتى أستطيع أن أحبط مؤامرات العدو المنهارة فى كل مكان .. ذلك أن مؤامرات العدو تنفجر فى كـل مكان .. هـذا التـآمر .. تـآمر البلجيـك .. أراه يندس منـذ اليوم الأول لاسـتقلالنا .. يدسه رجـال يدفعهم الغضب وتحركهـم الكراهيـة .. أراه تحت مـلامح الجنرال ماسان .. وهو يثير الجيش الشـعبى ضد الحكومة والذى كنا بالنسبة له جميعـا حفنة من السياسـيين والانتهازيين .. التآمر البلجيكى .. آراه فى شخص سفير بلجيكا فى ليو .. السـيد فان دن بوت .. مسفهـا ، مشوشا ، ولكى يساهم بطريقة أكثر فى تفتيت جمهوريتنا .. نظم ترحيل موظفيـه بطريقـة جماعية .. التآمر البلجيكى .

انى أراه فى قبضـة الجنرال ، يعد بعناية منذ اليوم الأول .. المظليين والغزاة .. المؤامـرة البلجيكية .. انها معاهدة الصداقة التى وقعها

البلجيكيون معنا ... تمزقت كقطعة من الورق ..
تلك هي قواعد الارتكاز التى أعطيناها لهم ..
تحولت الى قواعد هجومية ضدنا .. المؤامرة
البلجيكية . انها كابالو .. بوما .. ماتادى ..
ماتادى وأكوام الجثث ولكن ما هو أبشع يتم
اليوم ١١ يوليو سنة ١٩٦٠ تشومبى .. أخونا
ابراهام تشومبى .. يعاونه مزيرى ، تشومبى
الذى يوجهه ويدفعه .. ويحميه .. ويموله
ويسلحه البلجيكيون .. يأتى دون استفتاء
شعبى سابق ليعلن استقلال أغنى أقاليمنا ،
كاتنجا .. وأول فصل فى استقلال كاتنجا ..
كما لو كان صدفة .. هو توقيع اتفاقية مع
البلجيك .. بوجود عسكرى وتعاون
اقتصادى .. هل هذا واضح بما فيه الكفاية ..
التآمر البلجيكى .. أيها الكونغوليون .. هذا
التآمر هو الذى يجب أن يحطم .. كما نحطم
أرجل الضفدعة فى الماء .. أيها الكونغوليون
.. هل تتركون استقلالنا يصرع بعد أن ضحينا
من أجله بالكثير ؟ وأنتم أيها الافريقيون ..
اخوانى ، مالى ، غينيا ، غانا .. أناديكم أيضا
خلف حدود الكونغو ، افريقيا أصبح فيك ..

هل يعتقدون اذن أن آذان افريقيا صماء ؟ أم يعتقدون بهبوط فى قلبهـا ؟ أم يعتقدون ان افريقيا عاجزة عن امتلاك حريتها ؟ أعلم جيدا أن الاستعمار قوى •• ولكنى أقسم بافريقيا أن الكل متحد •• الكل متوحد وسـوف نطعن الوحش فى أنفه ••

اخـوانى •• لقـد حقق الكونغو نصرا كبيرا •• لقد بعثنـا بنداء الى هيئـة الأمم المتحدة •• وقد رحبت بطلبنا •• غدا سيكون بيننا فى ليوبولدفيل السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة مستر همرشولد •• الذى يقر العـالم الثالث بنزاهته وحياده •• نحن نثق به •• هيئة الأمم المتحدة ستعيد الينا حقنا وسيكون العدل فى جانبنا •• انى لا أشـك فى ذلك •• فى وجه العالم ، الملىء الممتلىء بالعدل •• أيهـا السادة ، لقد أنهيت حديثى وفى كلمة واحدة •• انه استقلالنا •• انه وجودنا كأمة •

أنها حريتنا وكل ما يمثله الاستقلال لهذا الشعب الذى يلعبون به • وبعد انى أتأملكم •• ومن خلالكم أرى كل كونغولى •• العيون فى

العيون •• واكرر له كلمـــات أغنيتنـــا الكيكونجويـة •

أخي ، شيء تملكه بيدك تمسكه
وآخر يريد أن ينزعك اياه •• هل تقبل ؟
تعرفون الاجابة ؟ كيزولاكو ، لا أقبل !

(النواب يقفون ويصيحون)

كيزولاكو ، لا أقبل •• لا نقبل •

❋ ❋ ❋

المشهد الثانى عشر

(ظـلام .. ثم ضـوء .. أثنـاء تجمـع بعض الخبراء الأوربيين فى نهاية المسرح حول همرشولد .. يمر لاعب السانزا فى المقدمة ويغنى) .

أبانا الكونجـو

تحمل زهورا وجزرا

ما الذى يقبض قلبك غير الشهب

لمـاذا تحطمـه الشهقات ؟

همرشـــولد أ (للخبراء) أيها السادة .. أنـا متأكد أنكم جميعا تشعرون مثلى بأهمية تلك اللحظة التى نطـأ فيهـا للمرة الأولى أرض الكونغو .. فالكونغو ليس مجـرد بلد أو دولة أو أمـة بائسة .. تلح فى طلب مساعدتنا .. كما تحتاج لحمايتنا . وانما أيضا منظمتنا ركيزة من أجل الخدمة الدولية العامـة ومركزا للتجارب .. مركزا ممتازا للتجارب .. كذلك فان العمـل الذى ينتظركم هنا ليس بالعمل السهل .. نحن

نعمل هنا من أجل مستقبل العالم •• فلنسعى اذن بما لدينا من ذكاء الى التغيير الخلاق الذى كان لنا شرف المساهمة فيه •• أيها السادة •• اذا كنت أريد فى هـذه اللحظـة الفريدة أن أحاول ليس فقط تلخيص معلوماتى •• ولكن تركيز العمل فيما أود أن تبذلوا فيه جهدكم •• هنا فى الكونغو •• فانى أعتقد أنه يجب أن نلجأ الى تلك الأبيات من الشعر :

أنى اجهلك أيتها المشكلة ، ورأى هو أن نحياها ••

بالمشعل فى الريح •• باللهب فى الريح

كل البشر فينا ، يمتزجون ويغنون

فى مشعل كبير يزيد فينا الضوء ••

ثائر هو الجسد حيث تبكيت الضمير يبقينا عصاة

وهذا هو زمن الثروة الطائلة •• فيه يحث مغامرو الروح

الخطى على ساحـة الرجـال ، يختبرون الأرض على سعتها

فوق أهوائها يتعرفوا على معنى هـذه
الفوضى الكبرى ،

ويختبروا الفراش ، وماء السماء ، وروافد
نهر التلال على الأرض

وربما ارتابوا لعدم حصوله على جواب..
ولكن ها هم مضيفونا . تأملوا هـذه
الكلمات .. أيها السادة .. تأملوها للحظـة
وأيدوها .. فى زمن الفروسية الجديدة حيث
أدفعكم جميعا الى ساحة الرجال الملتهبة .

(متوجها بحديثه الى الكونغوليين) أيهـا
السادة أعضاء الحكومة الكونغولية انى سعيد
بمجيىء الى الكونجو .. فى الوقت الذى تضع
فيه الأمم المتحدة ، بناء على رغبة الحكومة ..
كل امكانياتها تحت تصرفها لمعاونة حكامها فى
تدعيم قواعـد مستقبل مزدهر سـعيد . ومن
الطبيعى وأنتم ترونى للمرة الأولى أن تتساءلوا
أى رجل أنـا .. سأقول لكم : أنـا رجـل
محايد .. لقد تساءلنا مرارا .. هل يوجد رجل
محايد .. حسنا هو أنـا .. حمـدا لله أنـا

موجود •• وأنا رجل محايد •• المشاكل التى
تعترض الكونغو يجب أن تحل بوسيلة
سياسية •• ودبلوماسية طبيعية •• أريد أن
أقول أنها يجب أن تحل لا بالقوة
ولا بالارهاب •• ولكن بروح من العدل
والسلام •• ولهذا يستطيع الرجال المحايدون
فى هذه الحالة أن يعملوا ويعاونوا الكونغو بكل
طاقاتهم على ايجاد حل مرضى لمشاكله •• وفى
النهاية ما المقصود بالرجال المحايدين ان لم
يكونوا رجالا عادلين ؟ هل على بعد ذلك أن
أحدد فهمى لهذه الكلمة فى معناها الأكثر
تداولا •• واذا كان لى أن أقول الأكثر
انتشارا •• انهم كما يقول الأستاذ « ايكار »
هؤلاء الذين تخلصوا تماما من ذواتهم ••
الذين لا يبحثون عن شىء فوقهم أو تحتهم
أو حولهم •• هؤلاء الذين لا يسعون الى جاه
أو مجد أو حظوة أو متعة أو فائدة ••
أو خلود •• أو جائزة لكنهم تخلصوا من كل
هذا باختصار هؤلاء الذين يعطون الله حقه ••
والذين يحقق بهم الله فخره •• هكذا وبهذه

الروح أيها السادة نأتى بينكم لنعاونكم فى تسكين الآلام وتهدئة العقول .. لنوفق بين القلوب .. عدل اذن وسلام .. بهذه الكلمات أحييى الكونغو .. يحيا الكونغو .. سالما وسعيدا .

***

المشهد الثالث عشر

(بينما يحتفل الكونجوليون برقصات وأغنيات الاستقلال يتقدم الى الأمام احد السفراء) .

السفير : أعلم جيدا أننا كدولة لنا سمعة سيئة .. يتهموننا بأننا ننقاد بسهولة ، لكن هل من الممكن ممارسة سياسة الكرسى الهزاز والعالم يضطرب .. والشعوب تتصارع للاشىء .. وعندما لا تتصرف الشعوب بطريقة لائقة .. لابد وأن يعيدها شخص ما الى السلوك السوى . ان العناية الالهية قد فوضتنا للقيام بهذه المهمة .. شكرا لله .. وبعد لقد سمعتم كما حدث فى الطائرة .. لقد صاح .. الى موسكو .. الى موسكو .. حسنا .. فلنعلم أننا لسنا فقط حراس العالم ولكننا أيضا صناعه .. الصناع الموكول اليهم فى كل مكان حصر النار التى يشعلها المد الشيوعى .
أقول « فى كل مكان » فى الكونغو .. كما فى أى مكان آخر .. الى من يهمهم الأمر .. سلاما .

***

الفصل الثانى

المشهد الأول

(نفس البار الافريقى الذى ظهر فى الفصل الأول ، دخول وخروج فتيات .. ماما ماكوزى ، لومومبا ، موكوتو ، واصدقاء يتخذون اماكنهم) .

لومومبا : أما أنا .. فأعيش تلك الأماكن .. أعلم أن هذا ينهش الفرنسيين من كل جبهة ، ولكن ...

موكوتو : حقا .. فلم يفوتهم أن يظهرونا أمام الرأى العام العالمى على أننا قرود داعرة ؟ وهل نستطيع نحن الوزراء والعسكريين أن نستمر فى التردد على أماكن شبابنا هذه ؟ هذا سؤال يمكننا أن نطرحه ؟ أنت الآن مبوتا موتو . فكر فى الأمر .

لومومبا : بالنسبة لى .. الأمر منتهى .. شىء جميل أن نرى نبلاءنا يحكون أنوفهم أمام أكواخ

ليوبولدفيل ، وأعتقد أن الأمريكان يجب أن يصنعوا نفس الشيء أمام هارلم . واذا لم يترك الطغاة الحرية للمظلومين كما تركوا لهم الرذيلة؟

موكوتــو : ألم تفكر فى المجىء الى هنا لمناقشة أحوال الأمة .. وكم قيل أن الكونغو ماخور كبير .

لومومبــا : سوف أفكر فى اقتراحك يا موكوتو ، والآن لنكن جادين فى حديثنا ، أوروبا جاءت ولم ينهار الكونغو .. أهو كذلك ؟ بل أبشع من ذلك . فقد دخل الكونغو طريق الانحلال . بدأ يتحلل عضوا بعد آخر .. ويتعفن كل بدوره .. الأمة .. الأسرة .. الانســان حتى أن ذلك الكوخ بحيواناته المحرمة والمهجنة ، وربما كان هو صــورة للكونغو المعاصرة من العفن الى الشمس .. مما يشجع على أن نرى رؤوسهم من وقت لآخر وهى تظهر من خــلال السباخ كمــا تظهر البــذور الوليــدة . (محــدثا ماما ماكوزى التى تقترب) وبعد ماما ماكوزى؟

ماما ماكوزى : باتريس .. هل أستطيع أن أعتمد عليــك فى احتفالنا برفع الحداد ؟ سيكون ذلك رائعا .. لقد استأجرنا بار الايليت .

موكوتـــو : ماما ماكوزى .. لتعلمى أنـه لا يمكننـا أن نطلب من رئيس الوزراء ما يمكن أن ننتظره من الصديق باتريس .

ماما ماكوزى : أوه .. هل تعلم أن باتريس سيظل دائما هو باتريس بالنسبة لنا .. حيث يذهب نذهب .. وانى على يقين من أنه سيأتى حيث نكون .. انه شخص لا يخجل من أصدقائه .

فتـــــاة : أوه .. حقا .. كم سيكون رقيقا .. بما انى مبشرة ، فقد اكتشفت أغنية رائعة .. هـل تعرفها ؟ (تغنى)

« عندما أرتدى شالى الأخضر »

(يدخل المجنون ، يمر بين الموائد وهو يدندن)

موكوتـــو : من هو هذا الشخص ؟

ماما ماكوزى : شخص مجنون .. لم تفعل شيئا منذ يومين سوى محاولة طرده .

موكوتـــو : ماذا تفعل الشرطة اذن ؟

لومومبـــا : لندع هذا المجنون فى سلام . انه لا يضـايق أحـدا .

المجنـــون : (يصيح) آه •• الـه المسيحيين •• لمـاذا سمحت للبيض بأن يذهبوا ••

موكوتـــو : أسمعت •• ها هو شخص لا يمكنه مطلقـا أن يعيش •• لأنه لم يعد يحصل على نصيبه من الطعام كل يوم انه سـم زعاف كغيره من السموم •

لومومبـــا : كلا يا موكوتو •• بل أفظع بكثير •• فى الواقع الأمر يتطلب أن تكون الرأس أكثر صلابة من رأس أى من أسلافنا ••

المجنـــون : الهى •• لمـاذا جعلت السود سيئين الى هـذا الحـد ؟

موكوتـــو : من أفضل الى أفضل ••

المجنـــون : لقد نزلت الى النهر لأعثر على الرجال البيض الذين تركوا قريتى ، ولكنى لم أجـدهم •• البيض تركوا القرية والرجـال السود تنصب عليهم لعنة الله •

لومومبـــا : أترى يا موكوتو الفائدة من التردد على تلك الأماكن ! ماما ماكوزى ، شكرا للمهـاك الذى

سمح لى بأن أقيس من أول نظرة حرارة واقعنا العميقة .. ومن أى ألم يبقى علينا أن نعالجه.. هـذا الشعب .. ماما ماكوزى تستطيعين أن تعتمدى على ، سوف أحضر حفل رفع الحزن الذى تقيمينه وسوف أصحب معى وزرائى .

***

المشـــهد الثـانى

(كالينا ، اجتماع الوزراء الكونغوليون)

نوموميـــا : الموقف باختصـــار هو أنه لا توجـد دقيقـة لنفقدها .. ان المعركة التى نخوضها الآن .. معركة تدور على الجبهـات .. وهى لا تزيد أو تقل عن أن تـكون معركة من أجل بقـاء الكونغو .

كـــرولار : (سـكرتير بلجيـكى) معـذرة .. معـذرة يا عزيزى .. قبل أن نبدأ .. أريد أن أنبهك أن السكرتير المساعد للأمم المتحـدة مسيو بانش ، يلح بكثرة على رؤيتك ..

لوموميـــا : من طلب منه الحضـور ؟ من الذى دعاه ؟ اسمع يا كرولا ربما أنك عملت على مقاطعـة حديثنا ، أعطنى الملف الخاص برؤساء القبائل بالمناسـبة ، يجب أن نعيد النظر فى مسـألة التأشيرات أيها السادة ، يدخلون الكونغو .. هكذا بدون تأشيرات .. والأدهى .. بتأشيرة بلجيكيـة .

كـــرولار : ســيدى .. مسيو بانش يلح كثيرا .. يقول أن ..

لومومبـــا : كرولار .. اذهب ودعنا نعمل ؟ (يتجه ناحيــة التليفون) آلو .. آلو ستانلى فيل .. أهــذا أنت يا جــان .. موافــق .. قم بتنظيــم الاجتماع .. سأتخذ القرار .. أخبرك من الآن فصاعدا انه ستحدث أزمة .. وطد نفســك على عصيان رؤساء القبائل وتعبئة العاطلين .. آلو .. آه .. نسيت .. لا تنسى أن تطلب أطنانــا من البيرة .. نعــم البيرة .. لــكل الجماهير سلام .

(يضــع الســماعة)

(يدخل اسحق كالونجى)

اســـــحق : سلام .. ســلام على الجميع .. كل هــذا حسن وجميــل عزيزى رئيس الوزراء لكن أخبرنى متى ندخل كاتنجا ؟ لا أفهم معنى هذا التردد طويلا ؟ لا مفر من الاغــارة .. من الاغارة على باكوانجا .. وهنا ينهض اتباعنا فيهرب البير كالونجى ديتلو تشومبى صلاواته.

مبولـــــو : أنــا متفق مع اسحق .. يجب أن نســتولى

على باكوانجا .. من يملك الماس يملك التاج .

لومومبا : لا مفر كما تقول .. ولكن لا مفر من اعطائى طائرات .. انى أفكر فى هذا يا اسحق .. أفكر فى هذا ..

موكوتو : ليس فقط طائرات .. سيدى الرئيس .. فرق أيضا فرق .. لا توجد نقود اذن لا توجد فرق .. هذه هى العسكرية ومنذ شهرين لم تدفع المرتبات .

لومومبا : حسن .. حسن سوف نعطيك نقودا ؟ والآن يا كرولار هل يأتى هذا الملف .. كل هؤلاء الصغار من مدعى السلطة الذين عانوا المستعمرين على سحق شعبنا .. كلاب الحراسة المسخرة للبلجيك .. يجب القضاء عليهم واتاحة ألفرصة للصفوة الحقيقية .. وأين سنجد الصفوة .. ان لم يكن فى الشعب .. وبعد يا كرولار .. أين الملف ؟

كرولار : لا أجده يا عزيزى .. أى فوضى هنا .. توجد على الأقل لفة ضخمة لم أكن أبحث عنها ..

أفتحها .. فماذا أجد فيها .. خمن ؟ كومة من الرسائل .. انها الرسائل التى تعترف فيها عشرون دولة بجمهورية الكونغو ولم يقرأها أحد منذ خمسة عشر يوما .. انها الفوضى أقول لك .. الفوضى ..

لومومبا : يسعدنا يا كرولار أن تكون هنا لتضع شيئا من النظام .

موكوتو : (متذمرا) وأيضا ليضع أنفه فى عديد من المسائل التى لا تهمه .

مبولو : صديقى رئيس الوزراء .. كلمنا حالا عن كاتنجا .. بعد انفصال كاتنجا . ربما أمكننا أن نستولى على ليوبولدفيل . ان شباب الأباكو يتقدم بل ، ويتجرأ الى حد المجىء حتى تحت نوافذنا .

لومومبا : مبولو .. أى شيطان أنت يا وزير الشباب ، ما الذى منعك من أن تجمع شبابك حولك ؟ شباب المنظمة الوطنية الكونغولية وعلى كل بيان تصدره الأباكو يرد ببيان مضاد من المنظمة الوطنية الكونغولية وهكذا .. فهذا أليس من شأن الحكومة .

مبولــــو : حسن .. أيها الرئيس .. فلست أصما ..

لومومبـــا : مبولو الشجاع (يدخل رئيس الشرطة) ها هى شرطتى .. ما هى الأخبار ؟

رئيس الشرطة : سـيدى .. مقال آخر لجبرائيل ماكوزو عن الضمير المسيحى .. تشهير بالسيد مالولا ثم أكاذيب .. وابل من الأكاذيب .

لومومبـــا : الأكاذيب .. أعرفها .. أستطيع أن أرددهـا عن ظهر قلب .. لومومبـا بـاع الكونغـو للروس .. لومومبا باع نفســه للشيطان .. لومومبا حصل على عدة ملايين من السـفير التشيكى (متناولا الجريدة) هـذا هو الأكثر جدية (يتصفحها سريعا) أوه .. أوه .. ان السيد يهاجم هنا بعنف .. امسك يا مبولو .. أقرأ لنا بصوت مرتفع .

مبولــــو : (يقرأ) « يحق لنا أن نشك بقوة فى الالحاد . هذا الفساد الغربى الذى جلبته الى الكونغو حكومات غير شرعية .. الويل للاعداء أينمـا كانوا الويل للمـاسونيين أمثال ماكيسا .. ولهؤلاء الذين يفاخرون بالالحاد .

لومومبـــا : هيه .. حسن .. سوف يكون هنـاك أخبار عن لومومبـا .. هـؤلاء السـادة يريدون الحرب .. سوف نقاتل .. سوف نقاتل .. وسوف نرد الضربة بمثلها .. رئيس الشرطة.. اجمـع جنودك .. اقبضوا على ماكوزو .. واغلقوا جريدته .. أولا ..

ثانيـا : آمـر بأن تعطى كل السـلطات للوندولا بسبب حـالة الطوارىء فى البـلاد ليقبض الجيش على أى شـخص .. أبيض كان أو أسود يريد أثارة الشعب . أنظروا .. سيعقدون مؤتمرا فى تيزفيل .. من هنا ترون التحريض .. انهم يعدون للانفصال .. انفصال آخر .. لذلك لن يكون هناك مؤتمر .. انى أمنع عقد المؤتمر .. وعلى كل فمن الخطـأ أن يتظلم هـؤلاء السـادة .. ذلك أنهم لم يحترموا المهلة القانونية الواردة فى القـانون وهى باخطارنا قبل عقد المؤتمر بأسبوعين .. موافقون أيها السادة ؟

مبولــــو : صـديقى رئيس الوزراء .. موافقـون .. القانون يجب أن يكون القانون .. لا توجد امتيازات لأى شخص ..

لومومبـــا : بالنســبة لكاتنجــا .. اســحق على حق فى الحاجه .. تلك هى المسألة الرئيسية .. ونحن نعالجها .. سنعالج كل ما يتبقى .. ســوف التقى بهموشولد .. ان هيئة الأمم المتحدة .. قد عهدت اليه بمساعــدتنا .. ســيكون لك طائراتك يا موكوتو .. سيكون لك طائراتك. وكما يقول اسحق فان تشــومبى لم يبق له الا أن يتلو صلاته .

(وهنا يمر لاعب السانزا .. ويغنى)

شمس وأمطــار

أمطــار تهطــل

وشمس تسطع

فيل يبدو طفلا

***

المشـــهد الثـــالث

لومومبـــا : سـيدى السكرتير العام .. من يقول وأنـا الذى دعيت هنا هيئة الأمم المتحدة .. أنـا ودون كـل الرؤسـاء .. الأول الـذى يثق تمام الثقة فى هـذه الهيئـة .. من يقول أن الكلمـات التى كنت سأوجهها اليك سـوف لاتكون ثناء .. ولكن عتابا واتهامات .. ثق أننى حزين .. ولكن ليس هناك أكثر وضوحا من أنك أعطيت تفسيرات شخصية لمقترحات مجلـس الأمـن : البلجيـكيون ما زالوا فى الكونغو .. وهيئة الأمم المتحـدة تدخل فى محادثات دبلوماسية مع الخائن تشومبى .

همرشـولد : أنـا السكرتير العام لهيئة الأمم المتحـدة .. ليس لى حديث الا مع الجمعية العمومية .. اسمح لى على كل حال بأن أبين لك أننى لم أحصل على تفويض بوضع كاتنجا فى النيران والدم .

لومومبـــا : لقد أوقفتم العمليات العسكرية التى كان يمكن أن تتيح لنا دخول اليزابيث فيل بدون قتال .

همرشولد : اذا كنت قد أوقفتها أو أخرتها .. فهذا لأن تقارير بانش كانت صريحة كان لابد من اخضاع اليزابيث فيل بيتا .. بيتا .

لومومبا : هيا اذن .. جماهير كاتنجا تتحمل مرغمة نير تشومبى .. كانت ستستقبلك كمنقذ لها .. ولكنك أعتقدت بوجوب التحدث الى المتمرد .

همرشولد : سيدى رئيس الوزراء .. لقد فعلت ما أملاه على ضميرى .. ان المسألة مسألة مبدأ .. ومبدئى الا تأخذ هيئة الأمم المتحدة جانبا فى صراع داخلى .. مشروع أو غير مشروع .. وأن قواتها المسلحة لايمكن أن تستخدم حتى لايجاد مخرج .. ليس لأنه لاتوجد مشكلة .. لكن هذه المشكلة .. لا أيأس من حلها .. أعتقدت أنى أحس فى الرئيس تشومبى رجلا لا تنقصه الحكمة .. أعترف بذلك وسوف أعمل على اقناعه . وفى جميع الحالات ، لقد تعذب هذا البلد بما فيه الكفاية .. ولا أريد أن أزيد من عذابه بارسال حملة عسكرية .

لومومبـــا : أعلم أنك راض عن موقفك .. لكن قل ..
أى تعاسة يمكنها أن تصيب هـذا البلد أكثر
من الاستسلام لانفصـال أغنى مناطقـه ؟ .
المقاومة الكاتنجية ؟ تشـومبى ومزيرى يحق
لهما أن يضحـكا كثـيرا .. فقد حجـزا فى
روديسيا فيللا للاستجمام .. أما بانش فقد
غرر به كالطفل .. خدع على الأقل وبعد كل
شيء فهو أمريكى .

همرشـولد : أن يكون بانش أمريكيا ليس له أى أهمية ..
أنـا لا أسمح لأحد بأن يشك فى شرف ونقاء
مساعدى ؟ رجل محايد .. أنـا نفسى محـاط
برجـال محايدين يضعون فى الدرجة الأولى
المنفعة الدولية قبل أى اعتبار .. مبتعدين عن
انتمائهم الوطنى .

لومومبـــا : انى أترك للتاريخ مهمـة الحكم على هـذا
الموقف وأيا كان هذا الحكم .. وطالمـا أن
هيئة الأمم المتحدة تهمل التزاماتها فان حكومة
جمهوريـة الكونغو سوف تأخذ على عاتقهـا
مسئولياتها .. سوف تخضع بالقوة انفصال
كاتنجا قواتنا مستعدة أن تدخل الميـدان ..

يجب أن ينتهى هذا قبل موسم الأمطـار ..
أعتقد أن هيئة الأمم المتحدة لا تمانع فى اعارتنا
بعض الطائرات لنقل الجنود .

همرشـولد : طائرات ؟ أعتقد أنى أخبرتك بما لا يدع مجالا
للشك .. أن قوات هيئة الأمم المتحدة ، هى
قوات سلام وليست أبدا قوات هجومية .

لومومبـا : ها هو نقاء هيئـة الأمم المتحـدة .. ها هم
الرجـال المحايدون .. الأسلحة البلجيكيـة
والمرتزقة يتقاطرون على الكونجو .. ويهبطون
الكونغو كل يوم ، وتتركونهم يهبطون .

همرشـولد : أنت غير عادل .. لقد أرسـلت بشأن هـذا
الموضوع .. مذكرة شديدة اللهجة الى حكومة
بروكسـل .

لومومبـا : مذكرة .. نعم مذكرة .. فى انتظار الانفصال
وهو يقوى كل يوم .. تحت سـمع وبصر
العالم .. وأنت .. ليس فقط لا تتحرك ..
ولكن لا تتركنا نحن أيضا نتحرك .. عظيم ..
الكونغو سيستغنى عن معاونتك : لدينا بالرغم
من كل شىء بعض الأصـدقاء فى العـالم ..
سنستغنى عن الرجال المحايدين .

همرشولد : أسمح لنفسى بأن أذكرك بأن كل مساعدة خارجية لجمهورية الكونغو لايمكن أن تتحقق الا عن طريق هيئة الأمم المتحدة .

لومومبا : الادعاء قوى ...والآن اسمح لى بدورى ان اذكرك بأن المسألة مسألة عقيدة .. وعقيدتى أن الكونغو دولة مستقلة .. وأننا لم نرفع وصاية البلجيك .. لنقع من فورنا تحت وصاية الأمم المتحدة .. وداعا سيدى السكرتير العام .. الروس سوف يعطوننى الطائرات التى ترفضون اعطائها لى . فى خلال أيام سوف تكون فى اليزابيث فيل .. وبالنسبة لك ومهما يحدث أتعشم الا تدفع يوما ثمن أوهامك غاليا .

همرشولد : سيد لومومبا .. هناك شىء أدركته أخيرا .. هو أن نقول نعم للقدر مهما يكن .. لكن وطالما نحن نتبادل التمنيات .. أتعشم .. ومهما يحدث الا تدفع يوما ثمن تهورك وغرورك غاليا .. وداعا .

(وهنا يمر لاعب السانزا يغنى)

العقعق فـوق السـنبلة
ينفش ريشه مقلدا الطاووس
« تلك السنبلة ملكى » يقول العقعق
لا أريـد للثراء
بأن يكون سنبلة العقعق .

***

المشهد الرابع

(ظلام .. ثم ضوء خافت .. تصحبه ضوضاء مقلقة .. نكتشف فى جو كجو الكابوس جماعات من نساء ساحرات .. ومحاربين .. مدججين بحراب .. وبنادق .. صوت يأخذ فى الارتفاع .. انه صوت الحرب الأهلية) .

الحرب : أيها الفتى .. أسكب الملاقو ..

ساخنا ومتبلا

وموحلا حتى الثمالة

أسكب نبيذ النصر .. نشوان هو سيفى الذى أشهره

السيف الحاد المعلق فى المشجب

هناك .. حيث يتدلى قرن الجاموس والحرية

أيها الفتى أسكب الملاقو ..

عندما أكون نشوانا .. افك قومى

هناك حيث يتدلى بوق الحرب والحرية

أيها الفتيان .. سوف أحارب فى النهار

وفى المساء سوف آكيل المديح

أكرمه بغصن من الزيتون البرى
وأكسوه بالزيت فى المســاء ..
المساء يستحق أن يلمع كالمرآة
أيهــا الفتى فى حســامى ..
الرجل الشجاع لم يولد ليموت فى فراشه
الرجــل الشــجاع فيل
ثعبــان يــزاق ..
يا ساقى الملاقو .. أسكب النبيذ فى لون دم
الأعــداء .
عندما يطلع النهار علينا وعلى الأعداء
سوف ننظر الى الأعداء .. وتتلاقى العيون
أيها الفتى .. أسكب الملاقو ..
نبيذا .. دم الأعداء ؟ لا أعلم .. انى نشوان
الحريــة فى أيدينــا .. أىى ..
الحرية تضرب وفى الجرح ترقد ..
يا رأس الأعداء .. سأجرك وأطوف بك من
قرية الى قرية .

***

المشـــهد الخـــامس

(كالينا ، مجلس الوزراء الكونغولى)

لومومبـــا : أيها السادة •• لدى نبأ عظيم أعلنه عليكم •• أستولينا على باكوانجـا •• وهرب كالونجى الخـائن •

كـــالا : وأسفاه •• نصر من الممكن أن يكلفنا أكثر من الهزيمـة •

أحد الوزراء : انى أفهمك •• وأشاركك مشـاعرك •• يجب الاعتراف بأن المنظمـة الوطنيـة الافريقيـة كانت قاسية • ستة آلاف من البالوبامس قتلوا وأبيدت أربعون أسرة فى كنيسـة سان جـان باكوانجا تحت ظروف فى منتهى القسوة •• بل نستطيع القول بأنها سادية ••

الوزير الثانى : لابد من أستدعاء الجيش ••

الوزير الثالث : لقـد أهانتنـا المنظمـة الوطنيـة الافريقيـة أمام العالم •

لومومبـــا : مساكين هم البالوبامس •• ذبحهم الأهـل فى

كازاى .. أبادتهم قوات الحملة العسكرية هى ليست أبدا معركة بالورق .

كـــــالا : هذا لا يمنعنا من أننا فى ورطة .. فالصحافة العالمية والبلجيكية بصفة خاصة ثائرة ضدنا .. أما بالنسبة لهمرشولد فهو يوجه اللوم لهيئة الأمم المتحدة ويتهمنا بالتخريب .

لومومبـــا : هذا صعب جدا .. وأين كان مستر همرشولد عندما كان البلجيك يذبحون رجالنا .. ويغتصبون نساءنا .. والآن نحن المتوحشون ..

البلجيك .. آه .. حسن .. ومن الذى أثار البوليامس ضد البالوبامس ؟ ومن الذى أقنع البالوبامس بأن اللوليامس لا يسعون الا للقضاء عليهم . من الذى أثار القائد كالامبا مانجول .. وشجعه على اعلان مولد مملكة لوليادية ، حيث يهرب أهالى البالوماس من ضغط السلطات اللولاوية ؟ ما الذى أقنعهم بأن وجود بعضهم كان مستحيلا مع البعض الآخر ؟ ١٩٥٩ .. هيه هل تتذكرون .. لما تقاتل البالوبامس واللوليامس تحت أعين

الشرطـة البلجيكيـة المتحجرة •• وأين كان لومومبا••فى السجن••أما الصحافة العالمية•• المسيحية •• فيالها من خراج قديم كالضـمير العالمى يغطى صديده القذر سربا من الذباب •• كلا لكن هل تعتقدون أنى خوفا من صرخاتهم الهيستيرية •• سوف أتركهم ينهشون الكونغو كما ينهش العصفور القناص حبة المـانجو قطعة قطعة •• أيها السادة •• أنى أدينكم (يضحك) أدين المجلس كله •• أدينكم جميعا •• جميعا•• عدالتكم •• أخلاقكم •• قوانينكم •• نعم أيها السادة الوزراء •• فلنبتهج جميعا •• أريد أن يشرب اليوم كل كونغولى كأسا من البيرة ليحتفل باستيلائنـا على باكوانجـا •• هـذا المساء •• سأتحدث من الراديو احتفالا باستعادة باكوانجا •• الليلة أريد أن أرقص •• احتفالا باستعادة باكوانجـا •• مبولو •• سـنذهب هـذه الليلة الى بار الأيليت •• كلا •• عند كاسـيان •• كنت أعـرف فتـاة من لولوا

أجملهن .. اسـمها هيلين بيجو . اسم على مسمى .. فهى جوهرة حقيقية تلك المرأة .. أخبرها .. الليلة سأرقص معها .. مع فتـاة من لولوا .. أمام العالم أجمع ..

أما بالنسبة لكم يا سادة الضمير العالمى .. فأن المرقص سيزداد نورا بإيماءاتكم .

***

المشـــهد الســـادس

(بـار « كاســيان » لومومبـا وهيلـين بيجو يرقصان فى ظل وردى أخضر) .

هيلــــين : أرقص فى ظلال الكهوف
على أشواك المنفى فوق لهيب الدماء
الغزيرة .. كدماء الأفــاعى

لومومبــا : أراقص التصــاق الانسان بلعابــه الملح .. الانسان وحده فى أعماق ذاته يثبت أن لحمه الفانى لا طعم له

هيلــــين : أراقص الزهــرة المتفتحــة التى تدور حــول الشمس .. لمــا تلمس كل رمش كأنه النجم البنفسجى البراق

لومومبــا : أراقص على السفينة التى تسيطر من مرساها الحربى على مخــاوف الرغبــة .. كالطــائر الغرير وغروره

هيلــــين : أراقص النشوة فى أشعة الشمس
فى الندى وهو يزرع

ضحكاته البيضاء والشاحبة فى جسد
البحر المتوهج

لومومبا : أراقص الحشرة التى تفوق كل الأسماء روعة
والتى تفرز جهدا نشوانا فى
عناقيد الفاكهة الناضجة كأنها حلى من زجاج
ملون

هيلين : ها هى رقصتنا الراقصة
واللحن الذى يضم أنغامه
كالزهرة المتفتحة .. فخورة
بتحمل ما لا يحتمل ..
الظلام .. التوهج .. والقيد .

لومومبا : حسن يا بيجو .. انى أرقص رقصة
حياتى ..
عندما أنتهى .. يا بيجو
عندما أشحب كالشهب العمياء
فى السماء المظلمة
عندما لا تعد الكونغو غير فصل يتبله
الدم

فصـــل يحافظ على جماله
لا يحتفظ من الزمن المخيف
الا ببعض القطرات الوردية التى تعيد
الحيـــاة
الى عصفور وليد يحتمى
بعضه الصغير من العاصفة
هيا بنا يا صديقتى .. لنكف عن الأحزان
ونرقص حتى مطلع الفجر
ولأمنح قلبى الحيــاة
حتى أعمــاق الليــل .

***

المشهد السابع

(قصر الرئاسة ، جناح كالا)

كالا : يا لها من دماء .. يا لها من أهوال .. قبائل اللوليامس تقتل قبائل البالومامس .. قبائل البالوبامس تبيد قبائل اللولبامس .. وقواتنا.. القوات الكونغولية الوطنية .. تسحق الجميع ..

أوه .. الحرب .. الحرب

بالتأكيد أعطيت موافقتى .. لكن هل تعتقدون أنه من السهل أن تقول لا لهذا الشيطان القبيح.. على كل هو الذى قرر .. ومن الطبيعى أن يتحمل قراراته .. ثم هناك سلوكه ..

نتيجة هذا الحادث مع جنود هيئة الأمم المتحدة .. أراد بانش أن يحدثه ، فأحاله الى موظف صغير .. كان طبيعيا أن ينتهى بانش بالفشل .. عندما قلت له .. « انهم لا يطلعوننى على شىء » .

وهذا حقيقى .. أعتقد أننى رجل يلعب بالورق؟

الحق أنه غريب ، سوف يباغتنى دائما .. دائما
يبدو رقيقا .. انى أتذكر كلماته .. عندما
تركنى ليذهب الى نيويورك « أيها الرئيس
أترك لك قلبى » .

وهذا شىء لا يخترع « أترك لك قلبى »
انها كلمات صادقة حقيقية تصدر من القلب ..
آه .. شيطان فى صورة انسان ..

أكثر ما آخذه عليه .. ربما كان هذا الطيش..
والهياج ، والتحريض انه شعلة تجرى ..
تنطلق ..

عصفور يحارب برأسه باحثا عمن يهاجمه
أجدادنا كانوا محقين .. القائد الحقيقى لايثور
أبدا .. يبقى .. حيث يكون مركز الوجود ..
مركز الدولة .. انه يشع حيث يكون
أما هذا .. فمتسلط .. لكنه لا يشع ..
يشعل .. يوقد النار ..
كنتو .. كنتو ..

آه ، ذلك أنه كان سيقلبنى رأسا على عقب
لو تركته يفعل .. والنار فى الكونغو .. النار
فى العالم .. ولكنى هنا .. ولن أتركه يفعل

أبدا أنـا هنا لكى أنقذ الكونغو وأنقذه من نفسه .

مهلا يا سيدى باتريس .. مهلا .. كالا العجوز هنا .. هنا .. بحق الشيطان .. نعم .. أنـا هنا .. ولزمن طويل .. يسموننى الكهل .. أنـا لست كهلا .. أنـا متمهل .. يقولون ملىء بالدهاء كالسلحفاة .. والأجدر أن يقولوا ملىء بالذكاء . أمضى على مهل .. على مهل .. كوكوتوبويم ! وكوكوتوبـويم .. أما هـو فعنيف .. متسلط ! أنـا لا أحب المتجبرين .. حتى لو كانـوا على حـق .. انهم يسببـون الدوار .. ثم ان آجلا أو عاجلا يلهثون لكن كفانا أوهاما .. على أن أواجه هذا الحديث . فى الواقع .. لا أرى لمـاذا يتكالبون جميعا عليه ؟ لكنهم على من لم يتكالبوا ؟ آه .. العالم يسود الآن .. ألم يشيعوا أن باتريس يسحبنى من أنفى .. وأنى خنت الباكونجـو بقبولى رئاسة الجمهورية .. جرؤا على كتابة كالا امرأة أمام لومومبا « كالا امرأة للومومبا » . يا لها من حماقة .. من غباء .. فالرئيس هو القائد .. وهو الملك .. فضـلا عن ذلك يمكننى عزله

عندما أريد .. وكما أريد .. ان الدستور يمنحنى السلطة فى ذلك .. الرئيس هو الذى يقرر .. والوزراء ينفذون .. من الواضح أننى لم أستخدم هذه السلطة .. باتريس منفتح .. نشط .. شعبى .. نعم هو كذلك .. أنه شعبى .. لقد أحسن وصفه .. انه شعبى .. والشعبية قوة .. ويجب أن آخذ حذرى .. لكن لماذا بحق الشيطان يتكالبون جميعا ضده .

اسمعوا .. آخر شائعاتهم ، باتريس شيوعى وأنا بالعمل على حمايته أدخل فى لعبة الشيوعية الدولية .

هذا يضحكنى .. باتريس شيوعى .. أنى أتذكر حديثه فى أشد أزماتنا مع البلجيك . فى وقت الاضطرابات .. طلبت منه أن يرسل برقية الى خروشوف .. هل تعلمون بماذا أجابنى ؟ هذا مستحيل .. سيدى الرئيس لقد قالوا أنى بعت نفسى للشيوعيين .. اذا فعلت ذلك سيضاف دليل آخر .. اننى أصبحت ضمن رصيد الكرملين . ..أنت أيها المسيحى ، أفعل

ذلك اذا أردت •• وسيقولون أيضا أننى دفعتك الى هذا » •

هيه •• تعتقدون أنه دفعنى •• سيصبح قويا •• قويا •• حقا •• فى الأسبوع الماضى صرح لى السفير الأمريكى بقوله : « اذا دخل لوموميا اجتماع بعض السياسيين الكونجوليين •• وعلى يديه صينية كأحد الجرسونات ، فسوف يخرج رئيسا للمجلس » •

ولكن هل تعتقدون أن لاشىء أسهل من تحريك العجوز كالا •• لا بأس سوف أتحدث الى مالولا •• سيدى له رأى سديد •• سأطلب من موكوتو أن يصحبنى •• أنا أيضا كان يمكن أن أكون مطرانا •• تصوروا •• لقد كنا زميلين فى الدير •• كانت ستتقل متاعبى •• لكن المرء لا يختار قدره •• الهى •• الهى أوه •• تلك الرئاسة ••

أخيرا سأوجه هذا الحديث •• هيا يا كالا •• مجهود بسيط مجهود بسيط ••

(ينهمك فى العمل .. وهنا يغنى لاعب السانز)

أفكار كالبرق

أرى الضفدع ينقنق

حية على فرعهـا

تنتظر وتلعق بلسانها .

***

المشـــهد الثـــامن

(جناح آل لومومبا ، لومومبا وزوجته)

بولـــــين : لومومبا باتريس •• انى خائفة •• يا ألهى ، يا الهى •• أشعر فى الظلام بتلك النوبات من الكراهيـــة •• وأرى فى كل مكان ديدان ، ضفادع عناكب ، كل هــذه الحيوانات القبيحة فى خدمة الحاسدين ، يخيل الى يا باتريس أن كل خيوط مؤامراتهم القذرة تحاصرك وتطبق عليك ••

لومومبـــا : لمـاذا تشعرين بالخوف ؟ حقا لى أعداء لكن الشعب لى •• الشعب هو ملاكى الحارس •• ليس لى الا أن أحـــدثه ، انـــه يفهمنـــى ، ويتبعنى •• اننــا فى ثـــورة يا بولين •• وفى الثورة الشعب هو الأساس •

بولـــــين : الشعب •• نعم •• لكنــه ضعيف •• الشعب مجرد من السلاح ، الشعب سريع الانقياد •• وأعـــداؤك أقويـــاء •• مثابرون •• ماكرون يساندهم العالم أجمع •

لوموبـــا : لا يجب أن نبالغ •• لى أيضا أصـــدقاء •• أصدقاء أوفيـاء •• اننا صحبة كما يقول المثل « نحن كشعر الكلب •• ننام جميعا على نفس الفراش » ••

بولـــين : أوه •• حدثنى عن الصحبة •• أرى العشرات يدينون لك بالكثـير •• ويلتفون حولك •• ويفتدونك •• لكن بعضهم قد يبيعك من أجل طبق عدس •• انى أشعر بهذا •

لوموبـــا : أوه •• الفساد •• يستطعن أن يكن سيئات •• دائما يتوقعن السوء ••

بولـــين : والرجـال •• وأنت مصـداق •• واثق •• أنت طفل يا باتريس •• أنـا لا أثق أبدا فى موكوتو ، أنت تعرف جيدا أنه كان مرشـدا أيام البلجيك ••

لوموبـــا : أعرف •• أعـرف •• يا بولين •• ولكنـك تعرفين أيضا الظروف التى كان يعيش فيها •• الآن •• كثيرون لم يكن لديهم الاختيار الا بين أن يموتوا جـوعا هم وأولادهـم •• أو أن يكونوا جواسيسا •• ليس هذا مشرفا ولاشك

ليس هذا مشرفا .. لا يمنع أن يوجد بين هؤلاء المخطئين رجال يمكن استعادتهم .. وموكوتو من هؤلاء .. انه متفتح .. رقيق .. قليل المزايا .. لكنه يعترف دائما بالثقة التى أوليه اياها .. فثقتى به تساعده على أن يعود الى الطريق السوى .. انى أتكلم عن وفائه .

بولين : ليستجيب لك الله .. يا باتريس ليستجيب لك الله .

لومومبا : كما .. أنه لا يستطيع شيئا ضدى .. اطمئنى يا بولين انهم لا يستطيعون شيئا ضدى طالما ان كالا وأنا متحدان ونحن بالفعل متحدان .

بولين : هل أنت متأكد يا باتريس ؟ رأيى أنه يحسدك.

باتريس : أكررها لك .. أبدا .. لم تكن وحدة الرأى كاملة بين كالا وبينى .. له عيوبه .. ولاشك .. لكنه وطنى .. انه قائد قوم أقوياء .. قوم أجلاء هؤلاء الباكانجو .. لقد قيلت هذه الحكمة من أجلهم « عندما يرى منقار الديك يرى الديك كله » .

بولـــــين : لست أدرى .. هناك عدد من الناس يحاولون تشويهك .. موتونو ، غامض .. ما نر..على اى حال.. كن على حذر..فهو قابع على عرشه.. شرس ، متصلب كآلة من النحاس .. هـذا المتصلب المخيف يبدو أن لا هم له فى هـذا الوقت الا التمسك بصولجانه . لكنى أعتقد أنه قادر فى المستقبل .. وبدون صيحة حذر على أن يتركك تسقط فوق رأسك كالدبوس.

لومومبـــا : وتتصـورين أنى أترك نفسى أسـحق بهـذا الشكل . وتتصورين أننى لا أملك وسائل .. ولا أصدقاء .. ولكن لنترك هذا يا بولين . أحضرى جيتارى .. أشعر بارهاق (تنـاوله الآلة) لا أعرف لمـاذا .. ما يجيش فى صدرى هو هذا الاحساس بالحزن . تعرفين يا بولين تلك الأغنية السواحيلية .

(الأصـوات تخفت ببطء ، بينما يغنى على الجيتـار)

هـل تعتمـد
حتى باصبعـك
على شجرة تنمو

شجرة تورق الحياة
حتى بالاصبع عليها لا تعتمد

لومومبـــا : أف .. كم هو مرهق هـذا الاستقلال (يغفو ثم يستيقظ مرتجفا) (كابوس : يظهر فى مقدمة المشهد فس ، كالا ، وموكوتو ، كالا وموكوتو يركعان على الأرض) .

القــس : أبنائى .. حـان الوقت لكى تظهروا حبـكم للكنيسة ، وأن تضعوا أعداء ديننا المقدس فى الطريق القويم .. اننـا نثق بكم .. باسـم الأب والابن والروح والقدس آمين ..

بولـــين : باتريس المسكين ، هيا استيقظ ، لقد حانت ساعة الأخبار .

(تدير مؤشر الراديو فنسمع تسجيل حديث لكالا لوبو)

كـــالا : مواطنى الاعزاء .. عندى نبأ فى غاية الأهمية.. أعلنه عليكم .. الحاكم الأول..آسف..أريد أن أقول رئيس الوزراء .. الذى عينه ملك البلجيك .. طبقا لأحكام الدستور المؤقت .. قد خان المهمـة التى وكلت اليه . لجـأ الى

وسائل استبدادية .. حرضت على انشقاق الحكومة والشعب .. حكم باستبداد ، سلب كثيرا من المواطنين حرياتهم المشروعة ، الآن هو فى الطريق أيضا الى أن يزج بالبلاد فى حرب أهلية طاحنة . لهذا رأيت من الضرورى عزل الحكومة على الفور .. انى أفعل ذلك بناء على السلطات الدستورية التى منحت لى . عينت جوزيف اليو رئيسا للوزراء السيد اليو مكلف بتكوين الحكومة الجديدة ، وآخذ على عاتقى شخصيا من الآن سلطة الاشراف على الجيش الوطنى .

ليحفظ الرب الكونغو ..

***

المشهد التاسع

(قصر لومومبا ، يحاصره أتباع موكوتو)

لومومبا : شكرا لمجيئك .. شكرا لمشاركتك تفكيرى وحقى فى التفسير .

موكوتو : أعجب من الرغبة فى تفسير ما هو واضح .. حرب أهلية .. حرب أجنبية ، فوضى .. كنت أرى أنك تكلف الكونغو غاليا .. يا باتريس ..

لومومبا : هل أنت صادق ؟ هل تعتقد حقا أنك ستنقذ الكونغو ؟ أم لم يتبادر الى ذهنك أنك بتقويض أوضاعها ، وبابطال القانون ، فى الوقت الذى تتحول فيه البلاد الى دولة ، تدفع بها الى الخطر المميت ..

موكوتو : من المؤكد أنه فى امكانك .. بتنحيك طواعية .. أن تيسر لنا المهمة . ولكن هناك أشياء .. لايمكن أن تنتظرها من سياسى .. سأقصيك اذن .. لقد قررت حرمانك من السلطة .

لومومبـــا : معـــذرة •• فى السياســة •• عندما أســمع مصطلحا من هــذه المصطلحات الرنانة أحدد وأبحث دائما عن رذيلة ما تخبؤها •• الى أين تريد بصراحة ان تصل ؟

موكوتـــو : رئيس الجمهوريــة يعزل بكل بساطة رئيس الوزراء •• رئيس الوزراء يرد بسرعــة عازلا رئيس الجمهورية • أنــا أعزلهما معا •• وأزيح السياسيين ••

لومومبـــا : باختصار •• تتولى السلطة ، وبعد كل شيء لن تكون أول كولونيل يعمل على قلب نظــام الحكم •• لكن أحذر يا موكوتو •• كلا لن يعتقد أى شاهر سيف •• أو حامل شرائط •• أو حامل عصى ان له حقا فى السلطة وأنه سوف يصنع من الوطن أمة •• سوق لصــوص •• أهل أنت مستعد لتحمل أعباء تلك المسئولية •

موكوتـــو : لا أسمح لأى شخص بأن يضع نزاهتى موضع شك •• جندى أنــا •• وسأبقى جنديا •• سأوكل السلطة لجماعة من الوكلاء •• حتى يستتب النظام •• ومن جهــة أخرى سأصدر

أمرا الى الجيش بأن يوقف أى تقدم نحو الكاساى ويعود الى ثكناته . يكفى ما لدينا من عمل فى ليوبولد فيل .

لومومبا : موكوتو .. أنا استرجع صداقتنا .. وكفاحنا المشترك .. ولكن ..

موكوتو : أوه .. تحدثنى عن الماضى .. حقا .. لقد ساعدتك على الخروج من السجن .. كنت الى جانبك فى اجتماع المائدة المستديرة فى بروكسل .. ليل .. نهار .. كنت أعبىء الرأى العام الشعبى لصالحك .. خمس سنوات من الصداقة .. والأخوة .. ولكن الآن طريقنا مختلف .. ما أسميه « تنحيك » يعنى وبدون أن نضحى بصداقتنا .. الا تمنعنى من أن أكمل واجبى كوطنى ومواطن كونغونى » .

لومومبا : انك على حق .. فالوقت ليس للعواطف المندفعة . أما بالنسبة لكلمة تنحى فانى أعرفها أكثر منك على أى حال .. وأقدر أكثر منك معناها ومرماها .. أتفكر فى افريقيا أحيانا .. حسن .. أنظر هنا .. فلسنا فى حاجة الى

خريطة معلقة على الحائط ، أنها منقوشة على راحة يدى .

هنا .. روديسيا الشمالية .. قلبها الكوبوبلت .. الحزام النحـاسى .. أرض صامتـة .. فيما عدا تحالف رؤساء العمال .. ونباح كلب بوليس .. وصوت عيار نارى .. انه زنجى يقتل ويسقط دون أن يتفوه بكلمـة واحدة . أنظر الى الجنوب .. روديسيا الجنوبيـة .. أريد أن أقول ملايين من الزنوج المغتصبين .. المسلوبين .. المحاصرين فى المدن .. هنا .. أنجولا .. أهم الصادرات .. ليس السكر .. وليس البن .. ولكن العبيـد .. نعم أيهـا الكولونيل .. العبيد ، مائتا ألف رجل يدفعون كل عام الى مناجم جنوب افريقيا مقابل مال وفير يسقط باستمرار فى خزائن باباسالازار الخاوية. معلقة كالخرق البالية .. تلك الجزيرة .. تلك الصخرة .. أعنى سان تومیه التى تستوعب برغم صـغرها الزنوج المعدمـين بالآلاف .. بالملايين .. انه سجن افريقيا (يغنى)

ابننـا الثـانى

بعثوا به الى سان تومیه

لأنه لم يكن يحمل أوراقا
ابننا لم يعد .. ابننا
اختطفه الموت .. ابننا
بعثوا به الى سان تومية

يا للسخرية .. تلك الأغنية الا تعرفها ؟ سوف أعلمك اياها يا موكوتو .. اذا منحتنى الوقت .. أخيرا .. فى الأسفل جنوب افريقيا .. المعتقل العنصرى المسلح بدباباتهم .. ورشاشاتهم .. ومدافعهم .. وطائراتهم .. وكتابهم المقدس .. وقوانينهم .. ومحاكمهم وصحافتهم .. وكراهيتهم .. وأكاذيبهم بالاضافة الى قلبهم القاسى المتوحش . ها هى افريقيا يا موكوتو .. متربة ، مقيدة .. مسحوقة .. مهسومة .. لكن هل تقول لى انها تأمل .. انها تتعذب لكنها تأمل .. هذا صحيح .. ذلك أنها من قلب سجنها ترى رقعة الضوء تكبر وتكبر تتقد وتتحرق شوقا الى الفضاء .. كالغاطس فى أعماق البحار .. انها تأمل ولم لا .. كانت هناك غانا .. وغينيا .. والسنجال .. ومالى .. وداهومى ،

والكاميرون .. ثم الكونغو .. وهكذا تقول افريقيا السجينة لنفسها : « ان دورى غدا ، وغدا ليس ببعيد .. وتضم قبضتها .. وتتنفس بعمق هواء الغد .. الهواء الطلق ، نقيا صالحا .. هل تعلم يا موكوتو .. ما أنت مقدم عليه ؟ انك تسدل ستار الظلام على مربع الضوء الصغير فى أعلى زنزانة السجين .. انك تصرع بضربة عصا واحدة عصفور قوس قزح الكبير الذى يحلق فوق سقف المائة وخمسين مليون رجل .. والثعبان المزدوج ، الذى يرتفع فى أرجاء الأفق ويصر على الحصول على وعد بالحياة شهادة من الحياة ومن السماء .. وترى القارة بأسرها تكسوها طبقات كثيفة من الظلام الموحش .

موكوتو : لن أتبعك فى روايتك المقدسة .. ليس لى أن ألبى نداء افريقيا .. ولكن الكونغو فقط .. وأعمل على أن يسود النظام .. هل تفهم .. النظام .

(يكون الجنود قد دخلوا وشغلوا كل المسرح)

* * *

الفصل الثالث

المشهد الأول

(تيزفيل ، معسكر هاردى ، زنزانة السجن ، مبولو ، واوكيتو ، ولومومبا مستلقين على مفارش صغيرة . فى الصباح ، لومومبا مستلقى ، ينتحب ويتقلب) .

لومومبا : أوه .. أوه ..

أوكيتو : أحلام مزعجة ، دائما ..

مبولو : مسكين باتريس .. كالحشرة التى وقعت فى الغراء وتناضل .

لومومبا : (يستيقظ ويفرك عينيه) وسوف تخرج يا مبولو .. سوف تخرج .. أوه .. هذا الحلم .. كانت تهاجمنى الطيور الكاسرة من كل النواحى .. وكنت أدافع عن نفسى بحركات هستيرية عنيفة .. لقد كان مخيفا ..

أوكيتــــو : يقول المثل « اننا نأكل مع الشمس .. ولا نأكل مع القمر » أنا لا أحب الأحلام .

لومومبـــا : أنا أحبها .. حتى لو كانت مخيفة .. ففيها تظهر حكمة سرعان ما تنساها يقظتنا .

مبولــــو : أعلم .. أعلم .. الأجداد .. أوه .. حدثني عنهم انهم الآن يبدون أكثر بخلا بأفضالهم ..

أوكيتــــو : أي نعم .. لقد نسونا فى السهل المر ..

لومومبـــا : الشجاعة .. يا أصدقائي .. الشجاعة .. ان البــلاد التي تفاجــأ فى البدايــة لا تلبث أن تتماسك .. انكم تعرفون الأســطورة ، اذا ضحينا بلومومبا هــدأت الالهــة ونظرت الى الكونغو بعين العطف .. أوه .. وينتظم كل شيء .. يجرد البلجيــك من الســلاح .. يدخل تشومبي الى الحظيرة وتصل الى الكونغو بلا انقطاع مساعدات هيئــة الأمم المتحدة .. وتحدث أشياء كثيرة أخرى .. لكن لا .. أقول لكم .. ان كل شيء سيصير من سيء الى أســوأ .. بلبلة .. خــداع .. فوضى .. اذلال .. سترون قبل أن يمر بعض الوقت .. انهمسيجيئون الى هنا .. يتوسلون الينا .. ان نستعيد السلطة .

مبولـــــو : على الأقل لاخفاء هذه الاستغاثة .. لم يخطر ببالهم أن يبعـدونا نحن .. يخيـل لى أنهم لن يتوقفوا عند منتصف الجريـــة .. ففى الكونغـو عـادة لا تتوقف أبـدا فى منتصف الطريـق .

أوكيتـــو : الكونجـو .. الكونجو .. قـل بالتحديـد الرأسماليين العالميين يخـافون من خيالهم .. لأقـل لمسـة .. يصـيرون متوحشـين .. كالجاموس .. نعم كالجاموس .

مبولـــــو : عندما يهيج الجاموس .. يخور بعيدا ..

لومومبـــا : كل هذا حقيقى .. حياتنا تحت رحمـة أول انسان قوى يأتى .. أبيضـا أو أسود ليس لهذا أهمية . اذا كان أسودا .. فرجل أبيض هو الذى سلمه هذا ، أولا .. وثانيا : يمكنهم أن يبيدونا .. لا أن يهزمونا .. لقد اعتبرناهم أصدقاء منذ اللحظة الأولى .. أما الآن فليسوا الا حجر عثرة أمام التاريخ .

مبولـــــو : من المؤكد أنك رسول يا باتريس .. يسير فى المقدمة ويبشر . وهنا تكمن قوتك وضعفك .

لومومبـــا : بعض المديح .. وبعض اللوم .. انى أقبل

حكم مبولو ، خصوصا اذا كان يشاركني ايماني .. ايماني الراسخ بالمستقبل .

مبولـــو : لقد قلتها .. بعض المديح وبعض اللوم .. أتساءل في بعض الأحيان .. اذا لم نكن قد أردنا الذهاب سريعا .

لومومبـــا : مبولو .. اني لا آسف على شيء .. الا يمضي المهندس الى الهدف من أول وهلة .. مصمما المنزل ؟ كان واجبي أن أرسم بخط سحري .. المنحني والمستقيم ، على السماء السوداء والأفق الأصم .

الآن وقد تم انقاذ كل شيء .. فلا يجب أن نحط من قوتنا ، فهي خارقة ، وعلينا أن نعرف كيف نستعملها . أنظر .. وصلني الآن هذان الخطابان أفلتا من رقابة موكوتو .. أحدهما من فان لايرت .. والثاني من لوي . الا تجدان أن هذا رائعا ؟ لوي ، الأسباني . قولا .. ما هي علاقتهما بالكونجو .. بعد كل شيء .. هؤلاء الرجال لهم أيضا مشاكلهم .. وفان لايرت .. بلجيكي .. صديق .. وأخ من بروكسل .. اني متأكد أنه في هذا الوقت وفي تلك اللحظة يفكر في كما أفكر فيه ..

يمكنكما أن تقولا أنه من بين انقلاب
القدر الهدام ، كنا .. هو وأنا ..
جديرين بانقاذ هذا الشعور الأخوى ..
صداقة ما وراء الدم أى نعم .. انهم
منا .. ذلك انهم يعرفون ان ما يحدث هنا
ليس مصيرنا وليس مصير افريقيا .. بل هو
مصير الانسان . الانسان ذاته .. أما بالنسبة
لافريقيا .. فأنا أعلم أنه بالرغم من ضعفها
وانقساماتها لن تتخلى عنا .. وبعد كل شيء ..
طمى ، وشمس وماء .. ولقاء صحى هنا ..
ولد الانسان . لماذا ؟ ان لم يكن ليبدد بخار
الحياة وينهض بطريقة ما واقفا ورافعا جبهته .
حسن يا مبولو .. سأتحدث الى الجنود ..
انهم كونغوليون .. سوف أحطم قلوبهم ..

لومومبا : (موجها حديثه للسجانين والجنود) وبعد ..
زملائى السجانين ، كأس من البيرة ؟ لكن ..
معذرة .. ليس معى الا البولار .

سجان : أنت تعلم يا سيدى .. أن البولار لا يهمنا
ولا البريسوس .. لا تثار المشاكل حول الأمور
الواضحة .. اننا عطشى للغاية .

لومومبـــا : اشربوا•• يا أصدقائى •• اشربوا •• والبـلاد كيف حالها ؟ كيف تسير الأمور ؟

ســـجان : البلاد •• البلاد ؟ انها الحالة التى يقال فيها •• كلما تغيرت •• كلما أصبحت نفس الشيء ؟ النـاس بـدأوا يتسـاءلون •• ان لم يكن الاستقلال قد جاء الى هنا ليفسد البلاد كسرب من الجراد •

لومومبـــا : ما هكذا تطرح المشكلة •• ليكن •• والجيش؟ والمرتبات ؟

ســـجان : لنطلعك على أساس المشكلة •• المرتبات لم تصرف منذ شهرين ••

لومومبـــا : هيه •• ربما لأنه لا توجد نقود فى الخزائن •• هيـه •• وموكوتو ؟ وكـالا ؟ وهيئة الأمم المتحدة ؟ ماذا يفعلون ؟

جنـــدى : أنا الذى أسـألك •• اذا لم تكن النقود فى الخزائن •• فأين هى ؟ أخبرنى أين هى ؟ يجب أن تعرف •• أنت •• بما أنك كنت وزيرا •• وعلى كـل •• فـأنت كالآخـرين •• زنجى بنظارات ••

لومومبـــا : بهدوء يا زميلى •• بهدوء •• النقود أين هى؟

سوف أخبرك .. أنها فى كاتنجا .. نعم يا سيدى .. فى كاتنجا .. فى خزائن تشومبى .. ولأنى أردت أن أستردها منه .. فأنا هنا .. مدفوع بقسوة البعض وبجحود البعض الآخر .

جندى : هذا صحيح .. دائما ما قلتها لأصدقائى .. صدق الكثيرون .. والكثيرون لم يصدقوا.. وهكذا .. حسن .. تقول النقود .. لجنود كاتنجا ؟

لومومبا : الجنود .. طبعا .. وأيضا لتشومبى .. ولميزيرى .. وللبلجيك .. هيا أيها الجنود .. اطردوا تلك الأفكار المفترسة .. سأطلب لكم دورا ثانيا ..

(الجنود يشربون ــ فى الوقت الذى تدور فيه الكؤوس)

لومومبا : أيها الجنود .. انى أرى كثيرين بينكم من قبائل الباتيتلاس .. كم أنا سعيد بذلك .. فأنا أيضا واحد من الموتيتلا .. هذه القبيلة هى التى ستخوض مع البلجيكيين المعركة الأخيرة .. التى بدأت منذ ستين عاما ..

لانقاذ شرف الكونغو بأسره •• أنا نفسى ••
ظللت حابسا غضبى •• وأنا أخوض معركة
ربما كانت الأخيرة •• لأنقذ البلاد من الوقوع
تحت قبضة استعمار جديد ، لذلك ملأت
مكتبى •• اذا حق لى أن أقول •• بالموتيتلا ••
فيا جنود القبائل الأخرى •• أنا لا أبخل
عليكم بثقتى •• أعلم أن الجيش فى مجموعه
مخلص لى •• كما هو مخلص لقائده الشرعى ••
أما موكونو فلم ينجح فى لعبته القذرة التى لم
تكن الا الاستعانة بفرقة من المرتزقة المرفهين
الذين ينزلون فندق مملينج وينفقون بسخاء من
المعونة الأمريكية •• وخاصة من الرصيد
الذى تدفع منه مرتباتكم •• أما أنتم أيها
الجنود فلستم من فندق مملينج •• أعلم من
أنتم •• أنتم من الجنود المسخرين •• أنتم من
المستقبل المظلم •• أنتم من رصيد المجاعة ••
من الرصيد غير المدفوع •• ومن ضموركم
تخمة هؤلاء السادة •• هذا صحيح للأسف ••
عندما عينت أول مجموعة من الضباط
السود •• وأول جنرال أسود وأول كولونيل
أسود •• لم أكن أفكر أنه •• ستولد بأسرع

من اندفاع حمم البراكين .. طبقة من الكلاب المتوحشة المفترسة .. طبقة من الكولونيلات والسادة ، تلك الطبقة التى احتفظت لنفسها ولمصلحتها فقط بالفرص التى كنتم تنتظرونها من ثورتنا الكونغولية ..

جنــــدى : لقد ضقنا ذرعـا بموكوتو .. فليرحـل من هنـا .. نريد أن نرى ما اذا كانت بطوننـا ستمتلىء معك ..

جندى ثان : يعيش لومومبا .. هـذا الانسـان .. الذى يتكلم فيبدو كالطاووس المتوج .

جنــــود : يسقط موكوتو .. يسقط موكوتو ..

جنــــدى : ذلـك الشـخص .. اذا أمسـكت بـه .. أخصيته ..

لومومبـــا : انى أحترم آراءكم .. ولا أريد أن أؤثر عليكم فى أى شىء مهما كان .. لكن المهم أن يكون لديكم .. جمـاعة وأفرادا .. الاحسـاس بخطـورة الموقف .. اذا كنت حارسـا من حراس الليل .. وسوءلت أين نحن الساعة .. أجبت انه بعد شهرين من الاستقلال نحن فى

الساعة التى يبدو فيها الكونغو كعنزة بين أنياب الذئب .. أيها الجنود .. أنا .. لومومبا .. اذا ثرت أو انحنيت .. فذلك لأجل تخليص الكونغو من بين الأنياب والمخالب ؟ ألن تعاونونى فى ذلك ؟

(الجنود يصيحون)

الجنود : تستطيع أن تعتمد علينا .. أنت قائدنا .. فلنخص موكوتو ..

(يفتح الجنود أبواب السجن ويحملون لومومبا منتصرا)

***

المشـــهد الثـــانى

(بار افريقى . رجال ونساء .. نفس جو المشهد الأول من الفصل الأول ... امرأة تردد لحنا) .

من رأى زوجى ؟
آلم ير أحد زوجى
لقد دخلت قلبى
شظية من البامبو

(يفتح فجأة الباب ، يدخل لومومبا ومبولو وأوكيتو)

ماما ماكوزى : باتريس .. أنت هنا ..

لومومبـــا : كمـا ترينـه ..

ماما ماكوزى : كنت واثقة أنك ستخرج من هناك ..

لومومبـــا : جميل .. أيتها الأم ، أنك لم تشك فى ذلك مطلقـا .. فهناك الكثيرون مما قـدروا رأس لومومبا بثمن بخس .. نعم .. حر .. مطلق السراح بفضل جنود الكونغو الشجعان قولى لزوجى وأولادى .. أن يحضروا .. سوف

أجعل من هذا المكان مركزا للقيادة .

ماما ماكوزى : أنت على حق .. لقد خانوك .. جميعا .. كالا .. موكوتو .. صديقك موكوتو .. أراه هذا الشخص .. بتصرفاته التى تشبه تصرفات فتاة سيئة السمعة .. هنا .. أنت مطمئن .. فالبيت بيتك .. والشعب يحميك .

لومومبا : اعذرونى مقدما .. لكنى أخشى أن اغير الى حد ما من عاداتكم ..

ماما ماكوزى : بدلا من الاعتذار ..أحكى لنا..يا باتريس.. أحكى عما فعلوه بك هؤلاء الخونة ..

النساء : أوه .. نعم .. أحكى ..

(لاعب السانزا يغنى)

نواة .. نواة ..

نواة .. شجرة واحدة ..

زيتها يكفى

لملىء الاناء ..

لومومبا : شكرا لك أيها المغنى الشجاع .. من بين عشرات المنافقين استطعت .. اذا كنت فى حاجة الى ذلك .. أن تصعد شجاعتى وتؤكد قوتى

فى أن أتحدى العالم بأجمعه .. ماذا أحكى..
فى الواقع لا تفاصيل لا لماذا التفاصيل لا عندى
ما هو اجدى احكيه لكم .. احلى لكم عن
افريقيا .. نعم .. افريقيا .. عيونها ..
ظهرها .. خصرها .. أوروبا ، أنيابك ..
اميريكا ، منقارك .. آسيا .. آسيا .. آه ..
هذه المطاردة من الراس حتى الروت .. افريقيا
كالرجل الذى يستيقظ فى منتصف النهار ،
فيكتشف أنه محاصر من اركان الدنيا
الأربعة .

أرى افريقيا تهاجمها الطيور الجارحة من كل
الجوانب .. وما أن تتخلص من واحد ، حتى
ينقض عليها الآخر ، وينهش فيها بمنقاره .
شىء آخر .. الكونجو .. شىء شبيه
برقصة الموكونغو ذات الاثنى عشر قناعا . كنا
نملك الثروة .. والجمال والأمان والتأمين
الصحى ، ثم اشتعلت الغيرة .. ثم سلبتنا
روح الشر بسطوتها كل شىء .. أذبلت خدود
عزارانا ، وأوهنت عزائم محاربينا .. وجلبت
الفساد والشقاق .. أوه .. كان شيئا مخيفا..
وأخيرا .. بفضل الله .. انهزمت روح البشر

بدورها وحافظنا فيما بيننا على الأزدهار ..
هل تسمعون .. جميعا أعدنا الأزدهار للبلاد
وسنحافظ عليه .. ماما ماكوزى .. أريد أن
يشرب كل الناس هنا نخب عودة الازدهار ..
عودة الازدهــار بيننا .. لكن حتى لا نكون
أنانيين .. أريد أن أبلغ هذا النبـأ السار الى
أصدقائنا فى العالم أجمع .. أدعوا الصحفيين
الى الاجتماع .

أحد الرجال : لقد دعوت الصحفيين .. فليأتوا .. اننا نرغب
فى ذلك .. لكن يجب أن يعلموا أنك مليكنا..
مليكنا الشرعى .. مرتديا جلد الفهد ..

الحشــــد : نعم .. نعم .. جلد الفهد ..

لومومبــــا : عذرا .. أيها الأصدقاء .. ففى أحد الأيـام
التقيت بروحى الشريرة وسط الغابة كانت على
شكل عصفور ..

وأفضــل من جلد الفهــد .. ذلك المتحضر
المندفع .. جلد طائر اتخذ منه شــعارى ..
العين والمنقـــار .. ولكى ندخـــل العصر
الحديث .. تتخذ شعارا قدم ايبيس الذهبية .

أحد الرجال : انك على حق .. قادة وملوك .. لقد خدعونا جميعا .. أنت أفضـل منهم .. أنت رائدنا الملهم .. مسيحنا .. المجد لله .. أبـائى .. سيمون كيمبانجو بيننا من جديد ..

(الحشد يغنى)

نحن الأبنـاء اليتـامى

ليلنا حالك .. طريقنا شائك

الهنا القادر .. أين نجد العون ؟

آبانا الكونغو .. من هو المعين ؟

(يقدم الرجل للومومبا قطعـة من قماش .. يدفعها لومومبا بيده)

لومومبـــا : وماذا أفعل أكثر من أن أبسط لك يدى ؟ بكل قواى .. فوق قواى .. وأكثر من أننى لم أرتد جلد الفهد ، لن أرتدى الوشاح .. هل لى أن أخيب ظنـك .. أنـا لست سيمون كيمبانجو .. لقد أراد أن يرد اليـكم القوة نجولو الكونجولى .. ولهذا فهو يستحق أن تخلدوا ذكراه .. لقد أراد أن يذهب الى الله وحده .. يتوسل الى الله وحـده .. كسفير

لكم .. ومن أجل هـذا .. فهو يستحق أن تمجدوه .. ولكن ليس من الله وحده حرمت افريقيـا .. فمنها .. من نفسـها .. حرمت افريقيا .. ففيها .. فى افريقيا نفسها .. ضاعت افريقيا .. لهذا لا أريد أن أكون مسيحا .. ولا نبيا .. ليس لدى سلاح غير كلماتى .. أتكلم .. وأوقظ .. لست مقوم أخطاء .. ولا صانع معجزات .. أنـا مقوم حياة .. أتكلم .. وأعيد افريقيا الى نفسها .. أتكلم وأعيد افريقيا الى العالم .. أتكلم .. أهاجم أساسها .. القيد والعبودية .. وأجعل الاخاء ممكنا لأول مرة .

(حيرة تسيطر على الجميع .. تدخل بولين ، هى ولومومبا يتعانقان)

بولـــين : ألهى .. كم أنـا سـعيدة .. لكم أنتـابنى الخوف .. انهم حيوانات هل تعلم ؟ يمكن أن تتوقع منهم أى شىء .. أخيرا .. أنت هنا .. حر طليق .. لكن يجب أن نرحل .. فلست آمنا هنا فى ليو .. لقد أعددت كل شىء .. فى ستانلى فيل .. ينتظرك أتباعك .

لومومبــــا : ستانلى فيل ؟ أنـا .. الذى يقاوم الانفصال.. هل أستطيع .. لكى أحمى نفسى من ضربات أعدائى .. أن أنظم .. بدورى .. انفصـالا آخر ، لا أريد أن أهرب أهاجر .. لا يوجد هنـا ما نخشـاه .. .. لقد فهم أعـدائى الدرس .. وبدونى يصـبح الكونغو آلـة معطلة .

بولـــين : كنت دائما .. عنيدا قوى الشكيمة .. صلب الرأس .. صلب الرأس فعـلا لكن هل هو مهتم بى .. انى أخاطبك يا باتريس .. وعيناك تنظران الى أعلى .

لومومبـــا : أعلى .. أسفل .. لا أعلم .. الاثنـان .. بدون شك .. الى أعلى أشاهد افريقيا .. وفى الداخـل تمتزج الكونغو بصـوت دمـائى المكتوم .

بولـــين : أعد الى هذه العدالة .. فأنا لن أجعلك أبدا تحيد عن واجبك .. لكن هل أنت مسئول عن افريقيا فقط .. مسـئول فقط عن سـعادة افريقيا ونحسها ؟ هل تذكر هذا اليوم وحده يا باتريس ؟ الأب صب اللاقـو .. أخـذت

أنت الكأس وشربت جرعة .. ثم ناولتنى
الكأس .. فشربت جرعة وشربنا معا .. جرعة
بعد الأخرى .. لا أحمل اسم بلد أو نهر ..
لكن اسم امرأة .. بولين .. فقط .. لن
أضيف شيئا غير هذا .. أتريد أن يرانى الناس
يوما .. حليقة الرأس .. فى موكب جنائزى ؟
والأطفال نجعلهم أيتاما ..

لومومبا : ليكن .. كنت دائما بينى وبين نفسى أطلق
عليك بولين الكونغو .. ان لم أكن [illegible]
أطلقت فكرة متوهجة عن أسلوبك المزدوج دون
أن تكونى قد ساعدتنى مساعدة فعالة على
مقاومة ضعف شديد يعترينى .. فانى مستعد
لأن أقاوم العالم أجمع .. نعم يا بولين ..
أعرف أنه يمكننى الاعتماد عليك . فاذا
اختفيت سوف أترك للأطفال ميراث معركة
طويلة .. سوف تعاونيهم .. سوف
ترشيديهم .. سوف تسلحيهم .. لكن [illegible]
سوف أستمر فى المعركة أنا بنفسى ..
وطويلا .. وسوف أقودها الى نهاية [illegible] ..
أما السادة المستعمرين فلن ينالوا منى قريبا ..

عذرا يا بولين .. اذهبى الى برازا .. اسعى
لرؤية لوى .. وضعيه فى مجرى الأحداث ..
سوف أتحدث الى الصحفيين .

(تخرج بولين لومومبا ببطء وتغنى)

آه .. آه .. من رأى زوجى ؟

ألم ير أحدا زوجى .. لقد دخلت قلبى
شظية من البامبو

(يدخل الصحفيون)

لومومبا : اجلسوا أيها السادة .. كيفما شئتم .. عذرا
للمكان .. مكان شعبى .. مكان متواضع
يدق فيه قلب الكونغو على طريقته .. أعنى
أكثر قوة وصدقا مما لو كان فى كل قصور
الوزارة أو الرئاسة .. لقد دعوتكم هنا لأعلن
عليكم .. لكى تعلنوا على العالم بدوركم ..
أن الكونغو مستمر . انى أعود بطريقة
مطلقة الى ادارة الأمور .. والتى استطاع
حادث مدبر انقلاب عارض أن يبعدنى عنها .
ان سياستى .. سياسة حكومتى ، الحكومة
الشرعية الوحيدة .. سوف تعمل دائما فى كل
المناطق على تقويم سلطة الأمة فى الاحتفاظ

دائما وفى كل البلاد .. بوحدة الكونغو .. لكنها لن تكون رغم هذا سياسة انتقامية .. انى أهـدف فضـلا عن ذلك الى انهاء عصر حروبنـا الأهليـة وبناء جمهوريتنـا بشرف واخلاص .. أما على الصعيد الدولى .. فانى أعتمد عليكم .. أيها السادة .. فى اقنـاع الرأى العام العالمى ، ان حكومتى موافقة على مبدأ الحياد الايجابى وسـوف يكون شاغلها الأكبر الاهتمـام باقامـة وتدعيم أواصر الود والصداقة مع جميع الدول الأجنبية .. لكن يجب أيضـا أن نضع فى الاعتبار أن الكونغو بلد مستقل .. يريد أن يظـل مسـتقلا .. متمتعا بالاستقلال والسيادة وأن تنتهى الفكرة السائدة التى تقول بأن الثمرة الفجـة ، ما أن تقطف تلتهم .

أحد الصحفيين : يا سيدى لومومبا .. لدينا الرغبة فى الاستماع الى خطـاب تنصيب رئيس الوزراء .. لكن الأحداث التى تجرى حولنا .. تدعونا لمعرفة ما اذا كانت هـذه النوايـا تتفق ورؤيتـكم الواقعيـة العـادلة وموقفـكم الشخصى .. وموقفكم الحالى من سياسة الكونغو .

لومومبـــا : أشكركم على اهتمامكم بموقفى الشخصى ..
وأؤكـد لكـم أنى رئيس وزراء جمهوريـة
الكونغو .. الذى أيدته ثقـة الشعب ونصبته
ثقة البرلمـان .. باعادة انتخابى .. فاذا كنت
اليوم حرا .. وفى مأمن من خطر الأعداء ..
فذلك بفضـل جهـود الشـعب الكونغولى
الباسل . انى أتحدث اذن بشرعية كاملة وحق
متكامل باسم الكونغو .. ان مهنتكم أيهـا
السادة الصحفيين .. مهنـة شريفة .. مهنـة
التعليم والاعلام .. هذا هو ما أطلب منكم أن
تفعلوه بطريقة قوية وشريفة .

(نقل أثاث .. رعب .. نساء يتدافعن ..
ويتساقطن)

ماما ماكوزى : باتريس .. المظليـون .. المظليون .. لقـد
حاصروا المنزل ..

مبولـــو : باتريس .. لا تخف .. ان حراسـنا على
أهبة الاستعداد .. والحق معنا .. ان أتباع
موكوتو سيجدون من يتحدثون اليهم .

لومومبـــا : كفى يا مبولو .. انى لا أريد أن يسيل الدم
الكونغولى .

مبولـــو : لن نقبل بعد ذلك أن نعامل كالفئران ..

لومومبـــا : أنـا لست رجل دين .. لكننى عملت بالحكمة التى تقول أن المخصى الذى يريد أن يغتصب فتاة شأنه شأن الزعيم الذى يتطلع الى تحقيق العدالة بالقوة .

مبولـــو : أنت تنـادى باللاعنف والواقـع أنـك تدعـو للانتحار ..

لومومبـــا : حقا يا مبولو .. ان كان لابد من أن أموت .. فلأمت كما مات غاندى هيا .. أدخلوا هـذا الجمع .. فانى لهم ..

(يدخل كالا وموكوتو .. وجمع من الجنود)

موكوتـــو : (لرجال الشرطة) أخرجوا الجميع (للصحفيين) عذرا أيها السادة ، لقد انتهى العرض .. وتبدأ جلسة العمل .. سوف نلتقى فى وقت آخر الى اللقـاء ..

(تخـلى الصـالة)

كـــالا : (محدثا لومومبـا) ان مجيئى اليك .. يبدو غير عادى من جانب رجل أقل أهمية مثلى .. يعمل على حماية البلاد قبل أى اعتبار آخر .. كنت أود أن أجدك فى نفس هذا الوضع ..

لومومبـــــا : لم آخدم مصالح أخرى غير مصالح الكونغو.. انى منصت لك ..

كـــــالا : ان مصالح الأمة لا تستطيع أن تتحمل طويلا غياب السلطة ..

لومومبـــــا : كم أنـــا سـعيد أن أسمعك تقولها .. أنـــا رئيس وزراء .. انى رئيس الوزراء .. لم يعزلنى البرلمـــان .. كما لم تكن هناك أزمة فى الحكومة الكونغولية .. لم تكن هنـــاك أزمة وهـــذا حقيقى .. الا فى شرعيـــة الوجـــود الكونغولى ..

كالا لوبـــو : باتريس .. أنت لم تفهم اذن .. ليس فى مقدرة الانسان أن يمنع ما حدث من أن يحدث .. كن واقعيـــا لمرة واحـــدة.. ان ليو هو رجـــل الموقف .. انه هادىء .. مطمئن يستطيع أن يخمد الثورة المشتعلة فى كل مكان على امتداد البلاد .. وسترى .. لا أطلب منك الا قليلا من الصبر .. قليلا من الصبر .. ولنرى أن الموز بنضج ببطىء .. وببطء يتسلل الدود الى باطن الأرض .

لومومبـــا : انى أكره الزمـن .. وأحتقر هـدوءكم .. والاطمئنان .. لمـاذا الاطمئنان .. انى أفضل الانسان الذى يكترث .. الانسان المكترث .. الانسان الذى يجعل الشعب مكترثا .. مثلى أنـا .. بالمسـتقبل الذى يعـده لنا أشرار الرعـاة .

كـــالا : تقبل أولا تقبل الاشـتراك فى الحـكومة ؟ سـأترك لفطنتك اختيـار المنصب . نـائب رئيس .. وزير دولة .. وزير الاشـغال .. اختر .. أعتقد أنه من حقى أن أطلب منك ردا محددا ..

لومومبـــا : (ساخرا) اسمع .. بالمناسبة .. كيف حـال الأسقف يولو ؟ .. نعم .. فولبير ؟ قيل لى أنه طلب من باريس رداء جديدا .. رداء من النايلون .

كـــالا : (مستاء) يخيل الى أن الوقت غير منـاسـب لألاعيبك يا باتريس ..

لومومبـــا : لاحظ انى لا أهينه بما أقول .. بالعكس أنه يخفف أعباء الغسـيل على زوجاتـه .. لكن لا تغضـب .. انى جـاد أيهـا الرئيس ..

ولكنى أقول لك كل شىء فى كلمة واحدة ..
لا أريد أن أكون تابعا لك ..

كـــــالا : كيف ؟ . سوف تكون ضحية لعنادك ..

لومومبـــا : ان افريقيا فى حاجة الى تشددى .. خصوصا
اذا تساهل الكثيرون على حســابها .. لكى
أجيب على سؤالك المحدد جدا .. لا اريد أن
أشارك فريقا من حثالة الفاسدين والخونه .

كـــــالا : هل تعلم ما جئتك به هنا ؟ هل تعلمه ؟ أيهـا
البـائس .. جئت لك بالحيـاة .. الحيـاة
المضمونة ..لا تغرى القدر .

لومومبـــا : هل تعلم ما الذى جئت تطلبه منى هنا ؟

كـــــالا : أطلبه منك ؟ هل أنت واثق من آنك فى حـالة
تسمح لك بالعطاء ؟

لومومبـــا : لو لم أكن أهلا لذلك .. لمـا شرفتنى بهذه
الزيارة .. لقد جئت هنا لتبحث عن منحة ..
كما لو كانت شرعية .. حسن .. انى أرفضها
باسم الكونغو ..

موكوتـــو : أيها الرئيس .. لا تلح عليه .. أنت ترى أنك
تتحدث الى شخص أهوج ، أعتمد على لأجعله
يطاطىء الرأس ..

كـــــالا : باتريس .. أنــت الذى أردت ذلــك .. الى اللقاء .. تصرف يا موكوتو .. تصرف ..

موكوتـــو : (محدثا لومومبا) تبا لك يا سيدى لومومبا.. انها أمطارك .. لقد أردتها .. سوف تغرقك حتى النهــاية .. أيهـا الجنود .. تكفـلوا بالسجين ..

***

(اليزابيث فيل .. مقر حكومة كاتنجا . يسيطر على المسئولين فى كاتنجا .. الدهاء .. الى النزعة الكنائسية فيما عدا ميزيرى المتوحش .. اغلب الظن أن ميزيرى وخاصة ترافيلى فى حالة قريبة من السكر . بينما تدور كؤوس الويسكى والشمبانيا بسخاء طوال هذا المشهد) .

موكوتو : هناك بعض السفارات أكرم من سفارتنا .. لقد جئت الى هنا لأشكو باسم ليوبولد فيل ذلك لا نستطيع ادراكه .. باعتباره خرقا لاتفاقياتنا لقد عرضتم شروطكم .. وكانت منطقية .. وقد قبلناها .. ونفذنا كل شروط اتفاقيتنا الصغيرة .. وهذا ليس فقط بعدم تخلى كاتنجا عن الانفصال .. لكن باعطائها العالم أجمع الاحساس بأنها ستنضم نهائيا الى الاستقلال ..

تشومبى : اسمحوا لى .. اسمحوا لى .. اتفاق .. ان الكلمة ضخمة .. فلم يكن هناك اتفاق بالمعنى الكامل .. الا اذا كنتم تعتبرونها اتفاقا .. تلك

الكلمات التى تجرى فى المحادثات العادية بين الأصدقاء .

زمبـــوى : أنت .. أنت .. أنت .. كلمات .. لا أريد من ناحيتى أن أناقش بعض الكلمـــات .. اتفاق .. معاهدة .. محادثات .. لايهم .. المهم من بين كل هـــذا هو أن نميز بين النص والروح .. ذلك أن النص هو الذى يقتل .

ترافيـــلى : كنت سأقول ذلك .. كما أن الروح هى التى تنقذ ..

(يضحـــك ببلاهـــة)

تشـــومبى : زمبوى وترافيلى على حق .. فروح محادثاتنا كانت .. مثلما كان اقصاء لومومبا عمل غير مجدى لاتحاد الكونغو ..

موكوتـــو : بشرفى .. هذا صحيح .. وصحيح جدا ..

مزيـــرى : هل أنت طفل ! وهل لى أن أقولها لك بقسوة ؟ ثعبان مثل هذا لا يموت بضربة عصى واحدة .. لومومبا الرهين مازال يثقل على الكونغو ..

تشـــومبى : عذرا لصـــديقنا الطيب مزيرى انه مخلص ..

وشرس .. لكنه أفضل الرجال .. ورجل حسن
المشورة .. لا نحب ليوبولد فيل كثيرا .. هذا
صحيح .. فهنـاك هيئـة الأمم المتحـدة ..
والشـعب .. والجنود .. انها مدينـة ثائرة
مزعجة .. متغيرة .. بدون أن نعتب عليكم ..
فانكم تعيشون فيها حياة رخيصة ..

هذا لا يعنيني فى النهاية .. نحن نرى أنه من
الأفضل للومومبا أن يكون فى كاتنجا .. من
الأفضل جدا أن يكون فى كاتنجا .

موكوتـو : يا الهى .. ومن الذى يرفض أن يتخلص من
سجين مزعج .. لكن لا يجب أن تتجاهل أن
نقل سجين الى كاتنجا سوف يسبب لنا بعض
المشاكل الصغيرة على المستوى الداخلى وعلى
المستوى الدولى أيضا .. فالشعب متعلق جدا
بلومومبا .. والرأى العام العالمى كذلك ..
علينا اذن أن نحترم بعض النظم الديموقراطية
التى لا يجب تجاهلها .. فى مثل هذه الحالة..
والا أصبح تجاوزا لا يغتفر .

زمبـوى : أنت .. أنت .. أنت .. الديمقراطيـة ..
ها هى كلمة سادة ليوبولد فيل المـأثورة ..

حسنا يا صديقى العزيز .. نحن أيضا
ديمقراطيون فى كاتنجا .. لكن الديمقراطية ..
بالنسبة لنا .. هى كل ما يتفق ومصالح
الشعب .. المهم هو معرفة ما اذا كان ثقله
يدخل ضمن قائمة الافعال التى يمكن أن يقال
أنها تخدم شعب هذا البلد ..

ترافيلى : (ضاحكا) كنت اقولها منذ لحظة .. انها
الروح التى تنقذ .. انها الروح ..

مزيرى أ لقد تعرضتم الآن لمشكلة داخلية .. فلا يمكنه
أن يتسبب فى صعوبات الا اذا أردتم ذلك ..
الشعب .. الشعب .. سيدى .. ان الشعب
ينحنى دائما أمام القوة .. اذا كنتم تعرفون
كيف تحكمون .. سجد لكم الناس .. المسألة
تتركز فى هذا..هل تعرفون كيف تحكمون..
تحكمون .. وهل تعرفون كيف تصبحون قادة
فى النهاية ..

موكوتو : حسن .. حسن يا مزيرى .. لا تغضب ..
سنحاول على كل حال .. سأرفع اقتراحك
للحكومة .. وداعا ..

تشــــومبى : الى اللقاء .. تريد أن تقول .. الى اللقاء ..
اذ يمكننا أن نعتبر هذه المرة اتفاقا .. اننـــا
مقيدون باتفاق .. تذكر هــذا .. وقل لكالا
أنك سوف تترك لومومبا يسقط هذه المرة .
(يضحك) .

زمبــــوى : يسقط .. هيه .. هيه .. انى اسمعك ..

ترافيــــلى : (ضاحكا) انها الروح التى تنقذ ؟ والنص هو
الذى يقتل .. أقول الذى يقتل .. فى صحتك
يا موكوتو ..

(بينما يخفت الضوء .. يمر لاعب السانزا
ويغنى)

أيها الصقر الصغير أوه .. أوه ..
أيها الصقر الصغير أبسط جناحيك
الشمس تشرب .. دما أوه .. أوه ..
الصقر الصغير .. الصقر الصغير
أى دم تشربه الشمس ..

***

المشـــهد الرابـــع

(نيويورك . مبنى هيئة الأمم المتحدة)

همرشـــولد : هل تعرف الخبر ؟ الآن تسلمت البرقية .. لقد نقلوا لومومبا الى كاتنجا ولنا أن نخشى على حياته .. هذا مخيف ..

ماتيـــو

كوردولييـه : بالتأكيد .. تبعا لعادات هذا البلد .. يبدو لى أن مشكلة لومومبا سويت بصفة نهائية .

همرشـــولد : لا يبدو أن الأمر يؤثر عليك أكثر من هذا .

كوردولييـه : بما أن لومومبا لم يكن من أصدقائى المقربين. فلا يمكننى أن أقيم الحادث الا من وجهة نظر المتخصص .. بدليل البساطة الواضحة التى يضيفها موقف الكونغو السياسى .

همرشـــولد : كوردولييه .. كن صريحا .. أنت تكرهه .. هذا صحيح .. قلها بدلا من تحمل هم التعريض السياسى .. هل أنتم رجال محايدون ؟ كان يجب أن أتنبه .. فلم تكفوا عن التآمر ضده .

كوردوليبيه : هيئة الأمم المتحدة هى هيئة .. أليس كذلك .. جهاز يتحمل بالألم هذا الجسم الغريب الذى يسمى العاصفة .

همرشولد : ان كاهلى صلب على الأقل .. الأحداث هنا هى التى تثقل عليك .. أنت الذى منعته من الدخول الى الاذاعة .. وحرمته من الدفاع عن نفسه عندما كان لخصومه الحق فى أن يصبوا عبر موجات الأثير دعايتهم الحقودة . أنت الذى أغلقت مطار ليوبولد فيل أمام طائرات هيئة الأمم المتحدة ..
فصلته عن العالم الخارجى فى الوقت الذى كانت تهبط فيه طائرة بلجيكية كل ساعة فى كاتنجا .. الخلاصة نحن الذين قيدناه .. عندما كان الآخرون يضربونه .. عمل جميل .

كوردوليبيه : الرحمة تضللك .. يخيل الينا أننا نستمع الى المندوب السوفيتى لدى هيئة الأمم المتحدة .

همرشولد : حسن .. الأفظع من ذلك هو أن نعتقد أنك تؤيد زورين .. لقد خدعتنى .. كلكم .. خدعتمونى .. ويمكننى القول بأنى اكتشفت أفعالكم القذرة .

كوردولييه : سيدى السكرتير العام .. اسمح لى بالدفاع عن نفسى ..

همرشولد : كلا .. قد لا تصدق أنى سأقول كما قال جيم أمام دورامين « انى آخذ كل شىء على عاتقى » .. وسأظل صامتا ؟ أوه .. ودائما ما فنت صامتا .. قل لى يا كوردولبيه .. ما رأيك فى المسيح ؟

كوردولييه : انك تدهشنى .. أنا مسيحى .. بروتستانتى .. وأنت تعلم ذلك ..

همرشولد : وماذا يهمنى أنا آن تكون مسيحيا وبروتستانتينيا ؟ فى امكان أى شخص ، أن يضرب صدره ويصيح « أنا مسيحى » الذى أطلبه منك ليس هو ما يراه فى المسيح ماتيو كوردولييه الذى يقف أمامى (الفعل الجسيل) لكن فى أى صف كنت ستكون أنت يا كوردولييه ، عندما قبض على واحد من معاصريك ، شخص يدعى يسوع .. قتل فى فلسطين فى ظل الاحتلال الرومانى . هيا .. انسحب يا قاتل المسيح .

***

المشهد الخامس

(ضوء . معسكر تدريب فى كاتنجا . أحد المرتزقة أمامه دمية تمثل رجل أسود . يطلق عليها الرصاص من بندقيته وبين كل طلقة وأخرى ينظف سلاحه . ويغنى) .

المرتزق : (يغنى)

فى الشمال .. فى الجنوب

فى الصحراء .. تحت خطوط الاستواء

أحراش أو غابات

أو دلتا المستنقعات

***

أمطار .. حمى أو حشرات

جلود دبغتها الشمس

فارس جديد

يشعر بقلبه بنبض

من أجل الحق والحرية

(يتخذ وضع التصويب أمام الدمية)

المرتزق : قذر .. قرد .. متوحش .. مشعوذ ..

جاحد •• كافر •• (يطلق بندقيته) أوه ••
أوه •• ذلك الجنس المشعوذ يحيـا حيـاة
قاصية •• انظروا اليه بعيونه البيضاء المنتفخة
وفمه الأحمر الضخم •• خذ (يطلق بندقيته)
رأيت مثله الكثيرين •• أمواتا •• ويستمرون
فى التقدم نحوك •• يجب قتلهم عشر مرات••
يقال أن سحرتهم يعدوهم بتحويل رصاصاتنا
الى ماء •• (يطلق بندقيته تتدحرج الدمية)
أشك أن تكون تلك الرصاصات قد تحولت الى
ماء (يضحك) نعم •• لكن أنـا •• هل أنـا
من مـاء •• أوف •• الجـو حار •• حـار
وظمـأ •• بلد ملعون •• (يمسح جبهته ••
ويملأ كأس •• يغنى) •

هنـاك مـن يسـببون الألم
لزويهـم
يستدينون •• ويعملون كالحيوانات
بلا أمـل
فى كل مساء يحملون على ظهورهم
حقد سادتهم وغضبهم
يتركون البيت يملؤهم الحـزن
من أجل الكونغو ••

(يسود الظلام عندما يعود الضوء •• يكون المرتـزق الأبيض وهو لايزال يحمـل فى يده مسدسه •• مستمرا فى التدخين •• الدميـة تحولت الى جثتـين على الأرض •• أوكيتو ومبولو •• يدخل مزيرى وأحـد المرتزقة •• وهما يدفعان اوومبا •• ينقض مزيرى فجأة على اوومبا يصفعه) •

***

مزيـــــرى : هل رأيت كيف أطلق زملاؤك الرصاص الآن.. علينا نحن الاثنين .. (يحاول المرتزق التدخل)

مزيـــــرى : (نازعا حربته) كلا .. لدى حساب شخصى أريد تسويته مع هــذا الســيد .. (محدثا لومومبا) علينــا نحن الاثنين .. اذن صحيح ما يقــال عن اعتقادك بأنك لا تقهر (يضغط بالسلاح على صدره) عليك أن تجيب عندما يتحدث اليك أحد ..

لومومبـــــا : حسن يا مزيرى .. كنت أنتظر تلك المواجهة.. كانت ضرورية .. نحن قوتان .. أنت نتاج المــاضى وأنــا صانع المستقبل ..

مزيـــــرى : يبدو انك كنت تملك القــدرة على السحر فى كاساى .. جلد الزونزى أو أشياء أخرى .. انه الوقت المناسب للتحقق منها ..

لومومبـــــا : مزيرى .. انها فــكرة لا تقهر .. تلك التى تقول بأنى أتجســد .. فى الحقيقــة .. فأنا لا أرى مثل أمل الشــعب .. كالنار من غابة

الى غابـة .. كالغبـار من ريح الى ريح ..
كالبذرة فى التربة الصماء .

مزيـــرى : وهذا .. وذاك .. الا تشعر به ؟ أيها القاسى..
لا تشـعر به خـلال جلدك القذر يتسلل الى
قلبـك ..

لومومبـا : ثق .. أنه توجد فى صدرى نواة صلبة .. نواة
من حجر الصوان .. ينكسر فيها نصلك ..
انه شرف افريقيا ..

مزيـــرى : (ساخراً) افريقيا أنها تتبرأ منك افريقيا ..
افريقيا لا تستطيع لك شيئا هل تشعر بأنى
رجل جاء يشرب دمك ويأكل قلبك ..

لومومبـا : سمعته طوال الليل .. يبكى ويضحك وينوح..
ويهمهم .. لقد كان الضبع ..

مزيـــرى : انه يتحذلق .. لكنك لا تصـدق القول ..
انك لا تراه .. لا ترى المـوت الذى يضـع
العيون فى مواجهة العيون .. أنك تعيش موتك
ولا تشعر به ..

لومومبـا : أموت حياتى .. وهذا يكفينى .

مزيـــــرى : خذ .. (يغمد النصل) وبعد .. أيها الغبى ..
ماذا ترى ؟

لومومبـــا : سأصبح حقلا .. سأصبح مرعى
سأكون مع الصياد واجنيا
سأكون من الراعى كيفو
سأكون فوق التل .. سأكون فى الوادى

مزيـــــرى : فلنخلص من هذا (يضغط النصل)

لومومبـــا : أوه .. هذه قطرة الندى فوق افريقيا .. انى
أنظر وأرى أيها الأصـدقاء أنى أرى الشجر
يشتعل .. أساطير .. وأرى الأقـزام وأرى
الفأس تعمـل حول السـاق الرقيقة .. لكن
الرأس الذى يكبر .. يذكرنا بالسـماء التى
تتقلب مع مطلع الفجر .

مزيـــــرى : قذر (يسقط لومومبا)

(مخاطبا المرتزق) أجهز عليه .. أيها الكلب ..
(طلقة رصاص . المرتزق يجهز على لومومبا)
(يدخل همرشولد)

همرشـــولد : كونغـو ..
ان تلاحم الأشياء المتلاشية ..

يدرك .. من خلال رحم الخطيئة الأولى ..
رمادنا الأسود ..

الكامن فى أعماقنا .. والنار المتقدة حيث
يسطع الشر ..

أوه .. فليصبح العدل ظلما ..

لم يعد الشرف قادرا الا على التعريض بالشرف
يا الهى .. لماذا اخترتنى

لأشرف على الأكسير الشيطانى ؟

لكن فلتتحقق ارادتك .. ارادتك .. وليست
ارادتى

انى أنتظر الأمر .. اسمع الأمر .. الى
الأمام ..

هناك .. هناك حيث تتكدس الليالى الصماء
بلا نجوم ..

الى الأمام .. ان الخطوة الأولى هى التى
تقدر ..

(يخطو خطوة)

لا يبقى غير الخطوة الأخيرة هى التى تحتسب

(وهنا يتقدم الصراف)

الصـــراف : من ناحيتى •• لا أرى قدرا بسيطا من مـادة العلم السياسى • انه حـادث عرضى •• لنقل فونكلورى •• شىء ما مثل اعـلان بعث تلك العقلية •• التى تحل دوريا لتخرب •• لدى أفضلهم •• وهن الحضارة البراق •• فى كل الأحوال وهذا هو المهم •• استطعتم التحقق بأنفسكم •• مع أننا لسنا هنا للاشىء •• أقول للاشىء ••

(يخـرج متعاليا)

(اظلام •• ثم ضوء خافت •• بولين لوموميا تدخل ••)

بولـــين : قفص •• سحابات أربـع •• ليكـاوون •• ليكـاوون

فى عيون البهرمانات ••
انها أبجديـة الخوف
الذى ينجرف تحت نهب الجيف
مع فأر الأرض يرمى الغدر ظله
وأعلى منه انحراف الخفافيش
والنهب ونشوب الامراض المعدية

أسفله .. فوق الرمل الأبيض والأسود الذى يصنعه

بغير كلل .. أو كسل .. الغرق الذى يجدد

حركاته الصغيرة لدعوة الحب

من أجل أجمل .. النجوم والكوا ..

عودى .. يا روحى .. عودى

لماذا تتأخر فى الغابة

فوق التلال .. فى مجرى السيل ؟

الهى .. لا تبقى عليها فى الغابة

فوق التلال .. فى مجرى السيل ..

آه .. انى أسمعها ..

كنت أعلم علم اليقين أنها ستعود ..

ها هى .. شعرت .. شوت .. ها هى ..

(بضحكات متقطعة .. يتقدم لاعب السانزا وهو على هيئة ساحر كونجولى . يرتدى جونلة من القش .. وأجراس معلقة فى معصميه وكعبيه .. يعبر المسرح وهو يغنى) :

لاعب السانزا : ايه .. أنت .. يا نزمبى .. أبله أنت ..

تأكل ظهورنا .. وآلياتنا

ايه .. نزمبى .. أبله أنت ..

تأكل قلوبنا .. وأكبادنا ..

ايه .. نزمبى .. تأكل بحساب ..

(لحظة اختفاءه .. يعود على عقبيه .. يواجه الجمهور وهو يطلق صيحة الحرب الكونجولية):
لوما .. لوما ..

بولـــين : (تكرر)

لوما .. لوما ..

(طبول الانتقام ترد عليهما طويلا أثناء الليل)

(ستار النهاية)

كتب أخرى .. للمترجم

● صـــدرت :

مهاجر بريسبان	مسرحية جورج شحاته دار المعارف ١٩٦٩
الآلة الجهنمية	مسرحية جان كوكتو الأنجلو ١٩٦٩
انفعالات	قصص ناتالى ساروت هيئة الكتاب ١٩٧١
دقات المسرح	دراسات ونقد تطبيقى هيئة الكتاب ١٩٧٣
ليلة القتلة	مسرحية خوذيه تريانا هيئة الكتاب ١٩٨٠
كهف الحكيم	دراسة عن اهل الكهف دار المعارف ١٩٨٠
شباب هذا العصر	رؤى ودراسات غربية المركز الجامعى ١٩٨٠
صرخات فوق المسرح	رؤى ودراسات غربية دار المعارف ١٩٨٠
جرنيكا .. ازمة العصر	رؤى ودراسات غربية هيئة الكتاب ١٩٨٢

دون كيشــــوت	مسرحية ايف جامياك هيئـة الكتــاب ١٩٨٦
الجحـــيم	روايــة هنرى باربوس هيئـة الكتــاب ١٩٨٦
هـؤلاء المفـكرون	دراسات عربية وغربية الثقافة الجماهيرية ١٩٨٧
نبض العصــر	دراسات ونقد تطبيقى مركز الفنون ١٩٨٧

● تصـــدر :

الانســان .. كلمـة	دراسات عربيــة وغربيـة
جــان كوكتــو	حيــاته واعمـــاله
الـوان العصـر	دراسات تشكيلية واشعار
عصـر الشـــك	دراســة لناتالى ســاروت
المضيفـة الحسـناء	مسرحية كارلو جولدونى
رسـائل من مصـر	نينيه والثورة العرابيـة

رقم الايداع ٨٧/٧٨٦٤

الترقيم الدولى ٠ ـ ١٥٨٠ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب